

محمد السيد زكريا

عذرية روح

رواية



عصير
الكتب

رواية

عُذْرِيَّة رُوح

محمد السيد زكريا

جميع الحقوق محفوظة © عصير الكتب للنشر الإلكتروني

<http://book-juice.com>

رواية

عُذرية روح

المؤلف: محمد السيد زكريا

نشر في: مارس ٢٠١٧

تصميم غلاف: محمد إبراهيم

تقييم وتصحيح: منى دراوي\$ سلمى أشرف وأحمد ضياء

تنسيق داخلي: عصير الكتب للنشر الإلكتروني



إهداء

إلى صديقة دخلت حياتي سريعاً، و خرجت منها بنفس السرعة
إلى من أهدتني روح المغامرة والتفكير في كتابة تلك الرواية
إهداء إلى إسراء عصام الدين

شكر خاص

إلى أمي و إلى كل من ساعدني بنصيحة أو نقد

بسنت العجيزي

إسراء عصام الدين

كريم مسعد الجهيني

أمنية احمد ابراهيم

محمد أبو جمعة

احمد النجدي

مقدمة

منزل ارتفع سقفه عن المعتاد، يملأه كبار السن والشباب من رواد الحضر والقرى، لكن تلك الفتاة كانت ولا تزال هي الأغرَب في جلستها، تنصب منها دموع العرق رغم برودة الأجواء حولها، تستطيع أن تقرأ من ملامحها أنها تحبس أنفاسها وتطلقها بصعوبة، تندم أنها لم تكن قدر الثقة، تتذكر كلمات لم تغادر أذنها، كلمات تتوعد بالانتقام، تتوالى الذكرى على مسامع قلبها لتؤلمها أكثر، دقت ناقوس الخيانة وهرعت بعيداً عنه خائفة.

وأخرى تنهمر منها دموع الحزن، تشعر بأنها لا تصدق هول المفاجأة، تعرف أنها فعلت قدر إمكانها لكنها لم تكمل طريقها بعد. تقترب منها تلك الفتاة الغريبة تهدد روعها للحظات قبل أن تنظر لها تلك الباكية، كأنما أرادت أن تخبرها بشيء، لكن النقاش بينهما كان بلغة العيون، ثم عادت أخيرة الحديث لارتباكها وذهبت الباكية لركن يسع بكاءها الغزير.

ثلاث فتيات جمعهن القهر والثقة والخيانة، "قصص سردتها إناث قبلي كُثر"

الفصل الاول سماح

* يوليو ٢٠٠٩ *

حركات عبثية تدور خارج عقلي! كانت ملابسنا المغسولة حديثاً منشورة على الأرائك وأنا وأمي نتصب عرقاً منهمكين في عملنا، كل ذلك استعداداً لسفرنا! إننا سنترك القرية، البيت، غرفتي، عالمي الرقيق سأتركه ربما للأبد!!

مازلت لا أعرف من أي ثقب روعي أنفذ لأخرج من تلك العتمة التي غمرتني، فبعد عناء يوم طويل وقفت أحداث نفسي، أتحمس وجهي الذي ذهبت عنه نضرتة، أنظر إلى بركتا السواد حول عيني، والمكان من حولي يئن قسرية التداخل الهمجي بين مفرداته، أشعر! لا أعلم ماذا، بينما أنا في كل ذلك سمعت أبي يحادث أمي بلهجته الريفية البسيطة:

— أم سمااح باجولك آآآآ، أني اتفجت مع السواج وهنشيل العفش بـُكراه.

أمي بعفويتها المعتادة:

— يا آآآختاي كنت جولتلي من بدري عشان نجهز حالي أني والعيال في حاجة ناجصة يآماااا.

— جدامك النهار من جبلته وهتلحجي تلملمي الحاجة الباجية.

سمعت تلك الأحاديث وكأن جزء من روحي أنتزعوا أنا أنظر حولي، كم سيستغرقني الوقت لكي ألملم ملامح المكان ، وقفت أعطى عيني بكلتا راحتي وأنا أحدث روحي، ينبغي أن تكف الألوان عن الحضور، ربما ينبغي أن تضمير ملامح كل شيء من ذاكرتي تماماً، ليت كل شيء ينقرض لبعض الوقت؛ رفقا بي وبكل العاجزين عن ترك ذكرياتهم ولحظاتهم الرقيقة.

آه ياروح! سطوري فارغة أريد أن أترك الجميع يرحل بدوني، ظللت هكذا يعث بي عقلي ويؤلمني قلبي بنبضاته حتى استيقظت الشمس من مضجعتها.

– سما آآ آح ، جومي اصحي!

– أيوة يا أما أنى صحيت اهوه

أنهض وركبي متييسة، أسمع طقطقات عظامي، أحاول أن أنتصب، أنتصب بقدر ما تستطيع الروح المأزومة في الجسد المأزوم، كل هذا من إجهاد ليلة أمس، فبعدها أعددت حالي وهيأت نفسي للرحيل سمعت بالخارج أصوات الأثاث تُحط وتُعتل وبين تلك الأصوات والحركات المزعجة، أبقى بهدوء:

– يلا يا جماعة عشان تركبوا.

يركب الجميع وأهم وأنا أجز قدمي، أزحزح روحي على الرحيل وأركب في صمت مؤلم بجانب نافذة الميكروباص، وبرغم حرارة الجو أغلقتها ووضعت ذلك الدماغ المقرّب على زجاجها،

أغمضت عيني في محاولة لتجنب حرارة وداع العين لقريتي وقد أغرقت عيناى بالدموع؛ أملاً في تخفيف ألم الروح.

أخذت أنفاسي تهمهم، لم نرحل عن كل ما يبهجنا؟ لماذا نجلب الآلام، نجرها كالأكبش المرعوبة؟ إننا من نؤلم أنفسنا، إننا نسقط عدواننا على الأشياء نجعلها مكروهة على التواجد والتألم معنا. ربما هي مجرد هرطقة مني!

أتذكر المكان هناك، المكان حيث يتكشف الزمن ويكف عن المضي وتترك الأرواح معلقة على المشاحب لتهترئ، حينها تمنيت أن تأتي عرافة طيبة تظهر للفتيات الحزيبات مثلي تخلق من الأشياء العادية المملة الرتبية عالماً أسطورياً، تعيدنيالى ذاتي من جديد!

لكينفتاة رماد وسأظل فتاة رماد، ها أنا بملامحي الباهتة وكل شيء يتحرك من حولي، شفاه الجميع باستثناء شفتاي. تناديني أمي:

— سماح سرحانة فايه اسألي جربنا نوصل كده!

— مش جربنا نوصل يابايا؟!

— كلها عشر دجايج يا بيه متحشريش نفسك في كل حاجة كده.

رحل عقلي بعيداً وذكروني بطفيف نور بعيد في ذلك المكان الذيأرحل إليه، أشعر بدفته يلوح ظهري وهويشع داخلي، إنها أنا في جسد آخر واسم آخر، تلك هي ابنة عمي. في محاولة لتغيير

شعور الأسي فتحت النافذة ربما بعض النسيم مع الغروب يطيب لي نفسي، أخذت ابتسامتي تداعب الهواء حولي وبعاكس هوشالي الأزرق البسيط، فقد غزلته من كومة خيوطي الكثيبة.

وبينما أنا في ذلك شعرت بأنامل أخي الصغير ينغز كنفني في صوت مهلل:
- يلاً وصلنا.

حينها شعرت بمرارة الغربة فيأحضان الوطن، نزلت أزحزح قدمي كالجنازة المعدة للتشييع، تجول عينا في ذهول حيث تنعدم كثافة اللون الأخضر الذي اعتدت عليه، الحشرات أمامي ترسم خرائطها في الهواء، أشعر وكأن المسافات أصبحت تُقاس عندي بالخوف لا الأمتار، تمنيت أن ألقِ بثقل كبير على رأسي يبقى عيني مغمضتين إلى الأبد كي لا أرى الكآبة حولي، أفكر لوتنشق السماء وتبلعيني في محاولة مني لحماية دموعي من هروبها. وبين كل ذلك ردني صوت أبي إلى واقعي المكروه:

- يلا يابت يا سماح شيلي مع أمك وأخوكي.

أتساءل ماذا حل بنا ليتبدل حالنا فيأيام قليلة، ونترك ريفنا وعالمي الرقيق متجهين نحوالزحم والضوضاء، ولكنني سرعان ما وجدت نفسي أمام باب بيت عمي الحاج سعيد _رحمه الله_ فقد توفي منذ أسبوعين فقط، وأوجب علينا أبي أن ننتقل للعيش في بيته تاركين القرية حتى نكون بجوار ابنة عمي سمر، حتى لا تكون بمفردها في البيئة المليئة بالحياة المؤلمة، وأذلك ما نجح أبي في إقناع أهل قريتنا به، فمنذ متى يكثرث أبي بشأن عمي وابنته! فالواقع أكثر ألماً.

ناهد

••••••••••

١

** ٢٠ يوليو ٢٠٠٩ **

- بت يا ناهد، انتي يايبيه
- أمي بتده امشي يا أحمد دلوجتي، نكمل بعدين!!
- هشوفك إمتي تاني؟
- معرفش
- انتي يابت يا ناهد.
- آنيأهووت يا أما.
- كُنتي فين يابت و آني بنده عليكِي؟
- بكلم صاحبتِي.
- صاحبتك؟ وانتي من امتي ليكي صحاب غير سماح ياختي؟
- زميلتي يا أما في المعهد.
- آه، طب ولعي على الرز يافالحة.
- أما، شوفتي الحاج عوض وأم سماح وهما معزلين؟
- والنبي يابت ما حد فاهم حاجة، إزاي يومين كدهويلملموالعفش والهدمتين وتنهم ماشين.
- ييجولوا عشان أخوعم عوض مات ولازم ييجوا جنب سمر بنته.

– أيواه، البت بتاعت الجامعة ديه! ودي حاجة تتصدج ولا تخش العجل برضك، ده ماجاش

على جد المرمطة!!

– على جولك يا أما بس ربنا العالم بجا.

– والبت سماح مجالتكيش حاجة عن الموضوع دهوه؟

– اأأأ، لأ، لا ياما مجالتش!

– طاب طلى ء الميه نشفت ولا إيه.

لم أصدق أنها ستملك زمام الفعل يوماً ما..

لم أصدق أنها استطاعت أن تنجح فيما أقسمت على فعله..

أن تجر أقدامهم نحو الهوان وتذل بأقدامهم نحو موقد نيران تنتظرهم منذ خلقهم..



سماح

٢

يوليو ٢٠٠٩

_ وانتي عاملة ايه يامرات عمي؟!

_ نحمده ونشكر فضلة ياختي!

_ وانتي يا سماح أخبارك إيه كده؟ دا أنا آخر مرة شوفتك وانتياد كده، كنتي فيأولى إعدادي كدهتقريباً، بقيتي سنة كام؟

أنظر إلى الأرض خجلاً وكأننيأحاول أن أدفن رأسي بيدي، بينما أبي يتلذذ بسيجارته وينطق عني:

_ لأ، لا ياسمر، سماح مكملتش علام.

عقدت سمرحاجيها وابيضت جبهتها وبذهول:

_ ليه بس كدا يا عمي؟ دي سماح كانت شاطرة!

_ ههه شاطرة! ياسمر البت حدنا ملهأش غير بيت جوزها وعيالها.

_ سيبك من سماح دلوجتي وطمنييني، عاملة ايه بعد سعيد أخويا الله يرحمه؟

_ بابا كان عيان يا عمي ورننا رحمه، بس مكنش ليه لازمة تعبكهم.

_ عيب يا بنتي، ميصحش نسيك لحالك!

_ أما انتي بجا في سنة كام ياسمر؟
 _ أنا هتخرج السنادي ياخالتي من إعلام.
 _ "مسم" ونهايته ايه العلام دهو؟ يعنى هتشتغلي ولا هتجعدي في البيت زي باجي بنات
 الخلج؟

_ لا يا مرات عمي هشتغل وأبقى مديعة إن شاء الله.

_ ههه نفضنا من السيرة ديه دلوجتي ياست، وربنا يوفجك يابت أخويا.

_وانت بقا يامحمود بقيت في سنة كام دلوقتي؟

_ في ٢\٤ يا أبله سمر.

_ ياسكر سنة رابعة يعنى، ههههههههه بس حلوة أبله منك.

اقتريت سمر مني ووضعت يدها على كتفي بابتسامه بريئة حنونة ^^

_مالك يا سماح قاعدة كدا ليه؟ يلا قومي علأوضتك انتي من النهاردة خلاص هتنامي معايا في
 نفس الأوضة.

_ لا لا لا عشان منجلش راحتك.

_متقولش كده ياعمى دانتي مجيتك على راسي وسماح دياختي.

_ عموماً هما كام يوم عوبال ما نلجى شجة.

_ لا ياعمي دا انتوا نورتوني والله.

وينا تدخل سمرمع أمى لتريها الغرفة التي ستنام بهانظر إليّ أبى وأمسك ذراعي بعنف وبلهجة غليظة:

_ انتي يابت حسك عينك تتكلمي مع سمر في حاجة كده ولا كده، وياريت تسكتي جاتك ستين مصيبة.

oooooooo

وقفت أنتبه إلى خيوط الشمس وهي تتسلل تلك الغرفة العريضة متوسطة الطول، مليئة بالكتب والأدوات الدراسية بها بعض الغرابة غير المفهومة ولكنها طيبة الروح، وتقع في أقصى الغرفة مرآة ملتصقة بمكتب فيما يسمى (تسريحة) موضوع عليها أدوات خلقت للتجميل، لكن ليست لي علأية حال! فلقد عرضت عليّ ناهد كثيراً بأن أستخدم مثل هذه الأدوات لكن سرعان ما كنت أرفض هذه الأشياء المحرمة على ابنة الحاج عوض، حرمتها فطرتي متطبعة بعادات الدار وأبى، فوجدت نفسي لا أتقبلها وأشعر أنها لا تتقبلني، قد يسوقني إليها الفضول نوادر الأوقات لكن قناعتي بعدم تناسقها مع دائرة حياتي قد أقنعتني بعدم الرغبة في استخدامها.

سمعت صوت سمر تتحدث إلى أبي باستغراب خارج الغرفة،

_ هوأحمد مجاش معاكم ليه ياعمي؟

وفي محاولة للتصنع من الحاج عوضونبرة متأرجحه:

_ أصل جولتله يخليه مع العفش لحد ما نتصرف في عربية ومكان، بس هوكان نفسه ومنى عينه
يجي يا بنتي، وكمان عشان المعهد الي هوفيه.

_ يجي بالسلامة إن شاء الله، وانتوا ناويين تاخذوا الشقة في العجوزة يا عمي؟

_ اه اه عشان نبجي جارك.

تحسس سمر بيدها الرقيقة على كتف أمي:

_ خالتي، يا أم سماح، انتي نمتي؟ تعالي أدخلك أوضتك انتي ومحمود.

مرة أخرى نجح هراء الحاج عوض في إقناع سمر بكذب جديد، أعرف أن غرابة الظن كانت قد
تسللت إلى عقل سمر الآن وسط مزاعم الكذب في نبرة أبي الساذجة.

oooooooooooo

_ الله! انتي لسه مقلعتيش الطرحة والجلابية يا سماح؟

_ هجلع، بس هدمتي في الشنطة ولسه مجبتهاش.

_ لا لا أنا هجبلك بيجامة من عندي عقبال ما تاخدي دوش كدا وتفوقي، عايزين نحكي مع
بعضكتير، وحشتينياوي يا سماح.

— شكرًا يا سمر، ملوش لازمة تعبك.

— بس يا عبيطة دا احنا اخوات، صحيحانتي معاكي من ده ولا أجبلك؟

في إشارة من سمر لهذه الفوط الصحية التي تستخدمها الأنثى في مثل سني، تبدلت ملامحي وانعقدت جبهتي وتألمت ذاكرتي في آن واحد، حينها احمرت وجنتي وأخذت أتحمس أصابعي بتوتر في حركة تشبه طقطقة الأصابع.

— لا ملوش لزوم تعبك، أنا معايا جماش أمي جيباه معانا بتاعي بستخدمه على طول.

— سماح! امسكي الكيس دا واستخدمي دي، سبق وعلمتك تستخدمها لما كنتي في إعدادي،

القماش دا مضر ليكي يا حبييتي، يلا أنا هحضرك بيجامة وخدي الباشكير دا معاكي.

— حاضر.

رغم ما علمتني إياه *سمر* إلا أن تقاليد وأشباه نساء القرية لهم حكمة غير معروفة في ذلك، فرغم أن أبي الحاج عوض رجل أعانه الله على قضاء حوائجنا إلا أن أمي كانت تضيفي فلسفة القرية على حياتنا، فلا أتذكر متى زرت الطيب آخر مرة، فبرغم كثرة الآلام من معدتي إلا أن أمي رأت أن مشروب الينسون ومشروب الحلبة يغنيان عن الطيب. ولا أستشعر جدواهما مع طوال الأمدولا أعتقد أن ما علمتني سمر إياه كان موجودًا في أي مكان من جدول اهتمامات أمي.

متجهة ناحية *المرحاض* أخشى ما أخشاه أن تحيط بي وتكتنفي الذكريات التي رافقتني ليلتيورافقتني طريقي، ذكريات لا ذنب لي بها إلا أن القدر وضعني بها في مفترق طرق. وقفت

أدور حول نفسي بالحمام، أغرف ماء أدلقه على رأسي، أدفن وجهي في المنشفة في محاولة بريئة
مني لدفن تلك الآلام التي تماكنت جسدي.

●●●●●●●●●●

•• يوليو ٢٠٠٥ ••

-ازيك يا خالتي؟ ناهد لسه معادتش؟

-بتعيطي ليه يا خالتي؟ ناهد مالها؟

-ناهد ماراحتش تمتحن.

-ازاي يا خالتي؟ دا انهاردة امتحان الملحج بتاعها.

-عمك أشرف رنها العلجة التمام أول امبارح وحلف يمينا طلاج ماتخرج من الدار.

-ازاي الكلام دا يا خالتي!

-أهوذا الي حصل يا سماح.

-وناهد فين دلوجتي؟

-جوا نايمه، بس بلاش تدخل أحسن أبوها يشوفك.

في محاولة من أم ناهد في تغيير حديثها:

-جصدي يعرف إن حد دخلها، عشان خاطري يا سماح أحسن أبوها بيعاود في أي وحت ولوحد

دخلها هيبهدلها وهيبهدلنياني.

-خلاص يا خالتي خلاص، جولي لناهد إنني شجرت عليها وجوليلها تخلي بالها من روحها.

خرجت من بيت عمي أشرف تختلط دموعي بعرقى من شدة الخوف، أتحمس ألم أختي أو من أسميتها يوماً من الأيام أختي، فأنا وناهد كنا مقبلين على إتمام عامنا الدراسي الأخير بالشهادة الإعدادية ولكن ناهد لم يحالفها التوفيق في مادة اللغة الإنجليزية، فدائماً كنت متفوقة عنها في تلك المادة، أعرف أنا ذلك، ولم تعترف.

أطرق باب الدار:

-ياما أنا سماح، افتح يا محمود.

-استني يا بت.

-يلا ياما الشمس هتاكل راسي.

وبنغزة معتادة من أمي بدأت حديثها:

-عوجتي ليه يا بت أنا مش جولتلك هي ربع ساعة وتنك راجعة؟

-ياما معوجتش دا خالتي أم ناهد كانت بتكلمني ومشوفتش ناهد.

-ياختي، *مسم* وبنتها الساجطة رجعت ولا لسه دايرة على حل شعرها هنا وهناك؟

-ياما ناهد مش دايرة على حل شعرها، دي كمان مراحتش تمتحن الإنجليزي.

-خبر اسود، ودي كدا تعيد السنة زي ما بيحولوا؟

-والنبي ياما ماعارفة، بس حرام اللي عملها أبوها دا حرام.

-عمل ايه يا بت؟

-رنها علجة وحلف على أم ناهد ليطلعها لوخرجت برا البيت.

- وعمل كده ليه الراجل ده؟

- ماعرفش ياما منا مشوفتش ناهد من أساسه.

- *مسم*

وضعت يداي فوق جبيني أزيل ما تبقى من قطرات التعب والإرهاق والحزن، أباغ حزني ولا أعرف
أكان صادقاً أم تكلفته قطراتي.

oooooooooooooooooooo

- آه، غيرت جلابيتها ونامت، هصحيحها على الغدا.

-ناوليني هدمتي يا سمر.

-استخدميهها هااا، أنا هعملك حاجة تشربيهها إلبسي براحتك.

-حاضر.

كم تمنيت أن يطول الوقت بي في هذا المرحاض الفاخر من وجهة نظري البائسة، فهوفاخر بكل تأكيد مقارنة بهذا الشيء الذي أبعد ما يكون عن حمام في دارنا بالقرية، وكأن المياه ليست بالمياه، فكأن جلدي قد تبدل ليحس إحساس مختلف كل الاختلاف وعيني تنزعت وبُدلت لترى ما لم ترى من قبل، ولكن ما تمنيت أن يتبدل لم يتبدل.

عقلي، ذاكرتي، ألمي، يجتمعون دائماً تحت راية واحدة ومسمى واحد: قدرتي!

صرخات روحي مستمرة بداخلي، أتذكر مأساتي وجسدي يهتز ويدي لا تقويان على إنزال الثوب الذي لم يشأ أن ينزل على جسمي، ولكن ما هذا التي أتت به ابنة عمي؟ فماذا سيحدث إذا رأى الحاج عوض وزوجته زينب ما ترتديه سماح! لم تُخلق مثل هذه الأشياء ابنة الحاج عوض، لم تُخلق!

-سمر، يا سمر.

- أيوة يا سماح أنا أهوه.

- أنا عايزة شنطة أمي من برا.

-طب انتي هتفضلي قاعدة بالباشكير؟ ما تلبسي البيجامة.

شهقت من الخوف:

-لا، البيجامة دي مفتحة جوي وأمي هتبهدلني لو شافتها علياً.

-محدث غريب في الشقة وبعدين البيجامة عادية جداً.

-لا معلش عاوزة الجلالية من الشنطة، أنا منجصاش مشاكل مع أبويا وأمي.

بدون رد انتزعت سمر كلماتي في وجوم متجهة ناحية الحقائق المرصوفة بعشوائية باحثة عن حقيبة مليئة بأشباه الملابس.

-شوفي هتلبسي منهم ايه بس لينا كلام تاني في الموضوع دا.

أشعر بأني أفقدتها صوابها ذلك قبل أن تعود ملامحها إلى هيئة السكون قبل الانعقاد.

-يلهوي، ايه الخياطة الكبيرة اللي في رجلك دي يا سماح، أول مرة أشوفها.

-ههههههه دي حادثة عملتها وأنا راجعة من الكتاب وأنا صغيرة، رجلي شبكت في سيخ طالع من جنب الترعة وأنا باغسل إيدي، نزفت كتير وودوني المستوصف والدنيا انجلبت عليا يومها.

تذكرت مبتسمة ثم أكملت حديثي:

- لا مفهاش، بس عشان الغدا.

- حاضر متقلقيش، باي.

- مع السلامة.

أغلقت سمر باب المنزل وفتحت الباب لخيالاتي وذاكرتي الشاردة من جديد، أتحمس هذه الجدران وهذا البيت بعيني وبروحي قبل أنأملي، ألمح جانب وجهي في المرأة بمروري محض الخطأ، أقف حائرة أنظر إلى جسدي أتحمسه، لا أعرف ما يجب فعله عندما تتملكني وحدة! تجتاحني بالكامل ويحتبس بداخلي شوق غامض إلى حضن دافئ وأنفاس قريبة جدا وأصابع تتحرك لتتخلل خصلات شعري، حينها صعدت وسوسة أحاديث البنات فيأن يكون لك سند متخذاً من ذلك الرجل الذي في اعتقادهن أنه ملاذهن من بيتهن وتحكم الأهل.

أململ حينها شبه عارية وأنا أقاوم تلك الرغبات العنيدة فيأن أكون مثلهن ولكن، أنا أنثى لا تنطق فيها غير عينين عسليتين ذابلتين، أرتعش كعصفور مذعور في مكانه تكتنفه الآلام من كل حدب وصوب.

.....

سبتمبر ٢٠٠١

-سلمي على بنت عمك سمر يا سماح.

-ازيك يا سمر؟

-الحمدلله، وانتي ازيك؟

-بخير!

- ما شاء الله هي سماح بقت محجبة؟

-اومال يا سعيد ياخويا، البت لازم تتحجب من صغرها عشان تبجي متريية ومتجبش لأهلها المشاكلووجع النفوخ.

-لا يا راجل! طب ما سمر بنتي أهيه مش محجبة ومع ذلك متفوقة ومحترمة.

-يعني انت قصدك إن الحجاب بيخلي بنتي خايبة!

-لا لا سمح الله، بس سماح لسه صغيرة يا عوض على التقييد دا، دي لسه طفلة!

-طفلة! طب عندك ديك النهار البت مها بنت الحاج إبراهيم اتجوزت وهي عندها ١٢ سنة وجوزها دخل عليها.

-لا حول ولا قوة إلا بالله، فض السيرة دي بقا يا عوض، قوم بينا نتغدى.

كنت أستمع إليهما من خلف ساتر، فكان عمي يمثل هيئة المحاماة وأبي يمثل القاضي والجلاد

معاً، ورغم استمتاعني بما يدور بعقل عمي سعيد إلا أن قلة حيلته كانت تقتلني بسكين تلم نصله، لا أعرف ماذا حل بي في هذه الأثناء لكن عمي فتح أبواب أغلقها بيدي، ذلك لأن لا جدوى من المناقشة فيها، فمصيري محتوم قد سردته إناث غيري كُثر.

كنت أتشوق أن أشعر بطفولتي دوماً وسط هذا العالم الذي صنعه أبي بمساعدة أمي! عالم مليء بالخوف من العار، والخجل من خلفه الإناث، في حين أن ما يصنعوه هو العار بعينه!

-بابا! عايزة أقولك حاجة.

-مالك يا سمر؟

-أحمد بيضرب سماح ويشتتمها من غير ما تعمله حاجة وعمي مش راضي يضرِب أحمد ولا بيسكته.

-ملكيش دعوة انتي، هما حرين مع بعض.

كان دوماً لأحمد الغلبة؛ فأحمد هو الرجل رغم صغر سنه، أحمد لا يجلب العار من وجهة نظر أهلي ووجهة نظر قريتي ووجهة نظر عالمي الضيق المحدود، أما وجهة نظري المكبوتة فأحمد هو العار ذاته! فبرغم آلامي تجاه ما يفعله أحمد من تسلط وتعتيلاً أن ألمي يتضاعف أضعافاً مضاعفة تجاه موقف أبي وأمي وقريتي وعالمي الضيق المحدود!

-مفيش بت تمد ايدها على أخوها إلا وتبجي بت جلييلة الرباية والخشى.

-يا أمي هولي بي ضريني ويشتمني جدام سمر.

-ياختي منك يابت! زنانة، اصبري عليا لما نعاود ع البلد وشوفي هعمل فيكي ايه، وابجي ولعي
فأمك لوجبتك تاني.

ويبقى حالي على ماهو عليه منذ خلقت.

oooooooooooo

يوليو ٢٠٠٩

- احممم، يا سمر يا بنتي .

شجعني صوت أبي على ادعائي النوم برغم استيقاظي، ليس لرغبة مني في النوم بل لكره مواجهة أبي حتى في أبسط الأمور!

-بت يا سماح! انتي يا بت فوجي .

-ايوه يا أبويا أنا صاحية أهوه .

-لما أمك تصحى جوليلها إن خلاص الحاج سلامة حط العفش في شجة لحد ما نلاجي مطرح ننجل فيه خلجاتنا .

-وهنجل شجة جديدة إمتي؟

-لسه بدور، انتي هتسامري معايا؟ جومي فزي دخلي الشنط وخلجات أمك جوا جومي!مش كفاية عليا أنا خلفت بهائم جابولي العار وخلوراسي في الطين .

فدائماً أبى يرتدى قناع الضحية والمتألم رغم أنه كبير الجناة وأضاف أبي مؤخراً اسماً جديداً لقائمة العار، وسيدرك في يوم من الأيام من صانع العار الحقيقي، فإلى متى سأظل أتحمّل حماقات الآخرين وأدفع نفقات هذه الحماقات يتابع هدم بنائي، يدخلني في صراعات حياتية قدر إمكانه، يصعب مهمتي في انتظار زفافي يوم تشيع جثماني .

-أنا هاجيب غدا وهرجع طوالي.

-ماشى يابا ترجع بالسلامة.

ليس لي غير تلك الذكريات التي تصارع خيالاتي في كل حين، أخاف أن أتشتت في فكرة وأترك المجال لتلك الذكريات التي تعبت بي من حين إلى آخر.

oooooooo

●● يوليو ●● 2005

- يخرب بيتك يا ناهد، ايه اللي حصل يا بيه خلاكي متروحيش؟
- أخوكي ياختي، الفالح حبكت معاه يشوفني امبارح عند شجرة الحاج فاروق وأبويا شافنا وبهدلني.
- ياختاي ياختاي، وعمل ايه مع أحمد؟
- لا ماهومشافوش، أخوكي جرى زي النسوان.
- أبله تهاني جالتلي إن خلاص كده عدت السنة كلها من جديد.
- مش شيفاكي زعلانة يا ناهد يعني!
- يلا، يمكن البعيد يحس ويتجدم بدبلة حتى.

وإني لأتعجب لقباحة هذا الحب الدنيء بينهما، إلا أن هذا الحب يروقني عندما أفكر به من جوانب التضحية والاشتياق، كم تمنيت أن أشارك ناهد بحكايات حبي لشخص ما، شخص يشعرني بوجودي ويصنع معي قصص تتحاكى بها إناث القرية، لكن مهلاً! عليّ ألا أنسى أبي وقوانينه الصارمة وأمي وصرخاتها وويلاتها برغم أنني لم أجاهر بشيء.

أبتاع دوائي طلباً للرحمة، تسكيناً لجروح قلبي، جروح لم تعرف التجلط والاندمال.

- أحمد، أحمد.

- ايه يا بت يا مخبلة انتي، صرعتيني يخرب حظك.

-انت مفكرتش تعرف ناهد حصلها ايه من ورا جنانك دهوه!

-انتي مالك انتي، دي حاجة تخصك!

في نغزة معتادة من أخي.

-لا متخصنيش، بس حرام عليك البت ها حرام، هتعيد السنة بسببك، روح اتجدملها من عمي أشرف.

-تعيد السنة متعدهاش، ملكيش دعوة انتي، محدش ضربها على يدها وجالها تجف وتيجي معايا.

-ماليش صالح بالكلام الماسخ دا، بس أنا المرة الجاية هجول لأمك وأبوك كل اللي أعرفه.

-آهه، تعرفي ايه يا بت ها، ناهد جالتلك ايه؟

-سييييب يدي، مجالتش حاجة هتجول ايه يعني.

-طب متفتحيش خشمك في الموضوع دا تاني، وإلا وربنا المعبود همسكك من يدك دي

وأكسر هالك.

أخشاه كما أخشى أبي، يستمد طغيانه من والده الذي رباه على كونه عملة نادرة، في الحقيقة هولا

يعلم مدى انحطاطه في نظري، لم يشعرني في يوم أني أخت له، طالما يشعرني بأني جارية قد

اشتراها له والده من بائع الإماء، يتلذذ بشهوة تعذيبي ومشاهدتي مقهورة قد فقدت جانب الكنية،

يزيده ذلك جشعاً ويكسبه مصداقية لعقله المريض بالتسلط. فلك أن تعلم أن الأنانية وحب

استخدام البغض للتخويف لهو أمر مظلّم، لكن أن تصدق تلك العيوب وتقتنع أنها شيء واجب

لأمر معتم زاد عن حد القتامة.

صوت طرق على باب الدار المتهالك:

-طيب حاضر، جاية أهو، ميين؟

-أني خالد، هو أحمد موجود؟

-آه موجود، يا أحمد، أحمد، كلم صاحبك خالد واجف ع الباب.

-ملكيش صالح انتي خشي جوا.

نظرات هذا الصبي في الثامنة عشر من عمره جذبتني إليه، أشعر بأن ذلك حدث رَغْمًا عني في بادئ الأمر، أشعر بأن روعي قد طرق بابها دخيل، يا الله! ما هذا الشعور! لعني أباغ قليلاً لكنني لم أشعر بهذا من قبل، كنت قد ظننت أن شعوري قد سلب مني عندما ختنتني أمي في صغري، وسلبتني أدنى حقوقي في كوني أنثى تعيش، ذلك بداعن تحافظ عليمن تقلبات الدهر، لكن هل حافظت؟ فمثلي مثل السواد الأعظم من إناث القرية قد فقدوا حقهم بالشعور بأنوثتهم، وكأن تلك الأمهات أردن أن يغيرن سنة الحياة، فكم من طفلة تعذبت بسبب الختان، لتستمر مسيرة التعذيب في كبرها وحياتها، ولكن اليوم غير مفهوم الختان لدي، فأنا لن أشعر بالمتعة الحسية ولكنني أشعر بالانجذاب الروحي، نعم أشعر وأحس، اليوم فقط أشعر بما تشعرين به يا ناهد، اليوم أعلم لماذا تضحين براحتك في سبيل ذلك الانجذاب، لا لم يسلبني الختان شعوري بكوني إنسانة تحب، كل ذلك بسبب نظرات! مالك يا ابنة عوضتبالغين!

-أما، ياما، كنت بجولك متنسيش تجولي لأبويا ع الموضوع اللي اتكلمنا فيه.

-والنبي! أنا مش عايزاه يهب فيا آني، وبعدين مش وجته.

- خلاص هجوله أنا.

- وأنا مش هحوشه عنك!

منذ متى تكثرين بالجارية يا أمي؟ لطالما وددت صوتاً يتحدث بالنيابة عني ويمثل هيئة الدفاع أمام القاضي والجلاد! كثيرٌ ما أشعر أنني أتيت رغباً عنك، تفتقرين سمات العطف، نظرات الدفء في لحظات الغضب، أشعر بأن غضبك نابع من أقصى قنوات قلبك، تحترق روحي بداخلي أملاً في إيجادك، بحثٌ في معاني العطف ولم أجِدك، لحبي لك شكل مختلف استدركينه يوماً ما.

أمام طاولة الغداء، وضعت الطعام في محاولة مني لبدء النقاش الذي أخشى أن يصنع خلافاً

-أبا، كنت عايزها جولدك على موضوع.

-ها.

-حبيبة ومحمد أخوها رايعين يجدموا في المدارس الثانوي وكنت عايزها روح أجدم مع حبيبة

يعني.

-ياأبا، اهه!

قاطعاً لحديثي الذي أظن أوظنت أنه بدأ يجلب ثماره، تدخل أحمد "أخي":

-هواحنا مش كنا اتكلمنا في الموضوع دا جبل أكده، وجولنا إن آخرك الإعدادية وجبرت.

-أنا بكلم أبويا، وبعدين م انت كملت علامك ودخلت معهد التجارة، كان حد منعك؟

يتحدث واقفاً:

-انتي هتساوي نفسك بيا كمان يابت؟

-آني جبت درجات أعلى منك عشان اكده هعرف أخش الثانوي، انت كنت ناجح بالعافية عشان اكده دخلت مدرسة التجارة، جول إنك منكاد مني ومش عايزني أبجي أحسن منك.

وفي لحظة قسمت نفسي وأحلت بي الضعف صفعني أخي على وجهي، لكن هذه الصفعة أعادت إليّ أملاً قد فقدته منذ زمن حتى إشعار آخر، الأمل في معاقبة أبي لهذا الأخ المتسلط، ذهبت إلى الغرفة ولم أرد على هذا التهكم سوى بدموع انسالته على وجنتي، داعية الله أن يدعم هذا موقفي في أخذ أدنى حقوقي وهو حق التعليم ومواصلة تفوقي. لم أسمع أبي يتدخل لمعاقبة أخي، فماذا يجول بخاطره؟ تقفز أفكاري خارج الصندوق تبحث عن رفيقاتها لأبي.

-انتي يابت، حسك عينك تفتحي الموضوع دا تاني، اديكي شايفة المشاكل مع أبوكي وأخوكي، البت ملهاش غير بيتها وجوزها لما تتجوز إن شاء الله، بلا علام بلا كلام ماسخ، منا مش بعرف أجرا ولا أكتب بس أهوه بجيت أحسن واحدة في إخواني وإتجوزت بدري وخلفتكم، لا عمرنا جولنا علام ولا وجع نفوخ.

بعد هذا الهراء الإجابة بالصمت أبلغ رد، لكن دموعي لم تلتزم بقراري بهذا الصمت اللعين، كيف لي أن أعيد تجربة أمي تلك من جديد! أتساءل دوماً هل أشبهها؟ هل سأكمل مسيرتها الحافلة

بالتدني من وجهة نظري؟ الأم ليست من أنجبت فقط. يا الله! أنت أعلم بحالي، وأعلم بقدر
تحملي واستطاعتي، فلا تحملني ما لا طاقة لي به.

أضافت لي أمي بنداً جديداً في قائمة تعذيبي، ووسيلة أخرى لقهري، فبجانب كوني أنثى هوجريمة
من وجهة نظر أمي، وختاني في صغري حتى لا أجلب لهم الذل والهوان، والامتناع عن الذهاب
إلى المرحلة الثانوية بداعاًن حبيبة لها أختوأما يشاركها مصاعب ومفترقات هذا الطريق التعليمي
الشاقينما أنا لا، هل من جديد ستضيفونه يا أسرتي الحبيبة لقائمة القتل البطيء لا بتكم
المصون؟

لقد هونت تلك النظرات الكثير والكثير!

.....

●● سبتمبر ●● 2009

"صوت التلفاز"

*** يا أستاذ صحوني ع المدفع، يا، يا، دانتا واحشني، ياااااااااااا دا رمضان كريم وانت، انت

نايملي***

- الحمد لله، كملوا انتواكل.

- أقعد يا عمي كمل أكلك انت مخلصتش طبقك.

- كمل يابنتي، أنا شبع، بالهنا والشفاء.

- وانت كمان يا سماح!

- شبع والله.

- هههههه، باين إن أنا اللي طفسة.

- هههههههه، لا متجوليش كده كمل أكلك.

- لا لا أنا هقوم أعملنا دور شاي.

- متتعيش نفسك، هعمل آني.

- لا اسبقيني انتي ع الأوضة عشان عايزاكي، عنك يا مرات عمي هشيل أنا.

وكنت أخشى أن تسألني سمر عن تفاصيل بائسة تركتها خلفي في القرية، لكنها سرعان ما أكدت لي شكوكي ورسخت مخاوفي.

- هو أخوكي فين؟ حاسة إن عمي مخبي حاجة ومش عايز يقولها، وبعدين انتوا بقالكم شهرين هنا، والعفش لسه مجاش عشان بتدوروا على شقة! هودا كلام يخش العقل؟

- ههههههههه، انتي زهجتني مننا يا سمر؟

- لا طبعاً دا انتوا منورين الشقة، بس أنا مستغربة بس.

- آه آه، أصل أبويا مش لاجي شجة في الحي دهوه، وكمان عشان أحمد بيدرس في معهد التجارة فلازم يكون في البلد.

- ممممم، مش مطمئة وخلاص.

على الأقل لم تتبعد شكوكها إلى منطقة أكثر ازدحاماً بالأفكار والخواطر، ولكن هل تتوقف عن التساؤل!

- أنا كدا حطيتك رقمي ورقم عمي.

- ما بلاش نجول لأبويا.

- نعم! دا ليه بقا؟

- عشان هياخده ويرجعه ليكي، أو هيديكي فلوسه ويهدلني عشان أخذته.

- لأ ملكيش دعوة انتي، انت بتعرفي عليه أصلاً؟

- مش جوي.

-هعلمك عليه، وأعرفك تتصلي منين، واعتبريها عدية العيد بما إن العيد مفاضلش عليه غير أسبوع.

-هههههه، ماشي، أول مرة آخذ عيدية.

-ليه هو عمي مكانش بيدكي؟

-كان بيدي لأحمد عشان يتفصح مع صحابه، أما أنا أمي كانت بتاخذ عيديتي من أبويا تعملي بيها هدمة عند الخياطة.

-ماشي، في العيد هفصحك.

-هههه، دا لما الحمار يطلع الجميزة.

-هههههههههههههه، دا انتِ طلعتي حكاية.

دخل محمود الغرفة دون إذن.

-بت يا سماح، اعملي شي.

-ايه دا! ازاي تقولها بت يا محمود؟ دي أختك الكبيرة، وبعدين شاي ايه في سنك دا ياخويا؟

تعجبت سمر من كلمات محمود على عكسي فلم أتعجب لوهلة، أحياناً كنت أتمنى أن أرى كيف ربيّ أبي أحمد في صغره حتى يتسنى لي مشاهدة مظاهر الطغيان والأنانية وهي تُزرع فيه، واستجاب الله لرغبتني بأن منح الأسرة 'محمود' ذلك الطفلالذي يشبه أحمد كثيراً ويحاول تقليده، كثيراً ما أود أن أخطف هذا الطفل الذي لا ذنب له أن ينشأ وسط تلك الكراهية والأنانية

ووضع الخصال الرديئة به، هوليس رجلاً كما يقول له والده دائماً، هو طفل، يفتقد أدنى حقوق الطفل، كما أفتقد أنا أدنى حقوق الأنثى.

-أنا متعودة على كده يا سمر، دا كويس إنه جالي يا بت ومجاليش يا بهيمة ولا بجرة ولا شتمني بحاجة تانية، ههههه.

-يا سلاااام! وهوعمي ملوش موقف من الموضوع دا؟

-لأ طبعا ليه! دا هواللي بيشتمني جدامه، وعمره ما زعجله عشان بيشتمني.

انسالت دموعي من جديد، لم أشعر بنفسي إلا وأنا بين يدي ابنة عمي التي أرسلها لي ربي لتهون علي الكثير.

oooooooooooo

"الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر، والله الحمد"

-يلا عشان نلحج يابا.

-مكانش له لزوم يا سمر إن الحريم تنزل.

-أنا متعودة كل سنة أنزل أصلي يا عمي، وبعدين مش كفاية مفيش كحك هيبقى كمان مفيش صلاة؟

-طب يلا.

انتزعت سمر حقوقي هذه المرة، فلقد كان لي صولات وجولات مع أبي في هذه الرغبة، لطالما وددت أن أصلي العيد مع حبيبة وناهد، لم تتحقق الأمنية بتفاصيلها، لكن جزئها الأهم تحقق!

-عايزة تروحي فين بقا؟

-هروح فين يعني كفاية الصلاة، عايزة نروح في حنة؟

-لا مش عايزة، أنا كنت عايزة أخرجك من النكد دا.

-هههه أبويا مش هيرضى يسبنا نروح في أي مطرح.

-عمي، عمي، حاج عوض!

-أيوة يا سمر.

-عايزة آخذ سماح ونخرج انهاردة بليل مع بنات صحابي.

-لا لا لا لا اخرجي واتفسحي يا بنتي، لكن سماح مهتنزلش لوحدها أبداً.

-منا معاها يا عمي.

-خلص الكلام في الموضوع دا يا سمر.

لم تقنع سمر بمحاولاتي في إيضاح واقعنا المرير، كم من مرة أوضحت لها أن أبي ليس أبوها، أتعجب من تلك المرأة التي وضعت ذكرين لم يجمعا أي صفة مشتركة بينهما، مختلفان أشد الاختلاف، عليكلاً تنخدعي بالمظاهر، فأسفل ذلك الفستان الطويل المرصع بتلك الألوان والنقوش الجميلة الباهية أنثى لم تعرف معنى الجمال أو البهاء.

-رايحة فين؟

-اطلعوا انتوا، هجيب حاجة من السوبر ماركت.

-متعوجيش عشان الفطار ميبردش.

-ماشي يا عمي.

نصعد ذلك السلم الطويل، أتحسب كثيرا لتلك الدقائق المقبلة، أتخيل بي متلذذاً بسيجارته

المعتادة

يلومني على اقتراح ابنة عمي.

-أنا مش هتكلم كثير، بس لوالموضوع دا اتفتح تاني مش هيطلع عليكى نهار.

-يابويا سمر هي اللي جالت.

-متكتريش في الكلام واتعدلي معايا.

صوت الباب يفتح.

-ايه في ايه يا عمي.

-مفيش يا سمر، دي عمالة تتخانج مع أخوها وفضحوني على السلم.

-الصراحة يا عمي محمود مش بيحترم سماح.

-نفضنا من السيرة دي، الأكل هيبرد.

بصوت خافت حدثني سمر، تجذبني من ذراعي بلطف في حماس يروقني:

-تعالى شوفى جبت ايه.

-ايه؟

-جبت كحك وبسكوت أهوه، بلاش تقولي لهم لحسن يموتوني هههههههه.

-دا أبويا مجابش عشان عمي الله يرحمه.

-الله يرحمه، الحزن في القلب مش بالأكل ولا باللبس، كلي كلي.

ظناً منها بأن كحك العيد هو الشيء الذي أفتقده في هذا العيد، تحاول بشتى الطرق إسعادي.

-يا سمر، يا سمر.

-أيوه يا عمي.

-خدي العيدية أهيه، كل سنة وانتي طيبة.

-شكراً يا عمي بس أنا مش هاخذها إلا لما توافق إن سماح تخرج معايا.

-يابنتي سماح مش متعودة ع الكلام دهوه.

-كلام ايه؟ وبعدين أنا هبقى معاها.

-طب خدي العيدية ونبجي نشوف الموضوع دا بعدين.

-لا ياعمي مش بعدين، وافق بقا.

-يابنتي سماح مكانتش بتخرج إلا مع أحمد، طب هتخرجوا ومعاكم محمود هي ساعة واحدة

بس.

-شكراً يا عمي، وانت طيب.

لم أصدق كل هذا، لوهلة ظننت أن المشهد سينتهي بصوت أحدهم يساعدي أن أستفيق من نومي، لعل الله أراد أن يفتح باباً للسعادة في بيتنا هذا كان قد أغلق، أتطرق لنسمات الهواء هي قادرة أن تزيل عليلي.

-يلا يا ستي إبسطي أهو هتتفسحي، بس ما انتِ طلعتي بتخرجي مع أحمد أهو!

-بخرج؟ دا هي مرة واحدة كانت معاه هووخالد.

-ومين خالد دا كمان بقا؟

- دا جدع كده صاحب أحمد.

-والنبي، صاحبه بس! مش هسيبك إلا لما تحكي انهاردة عن خالد دا كل حاجة.

من أين البداية؟ لا أعرف، لكن القدر لم يشأ له أن يطرق باب حياتنا، بل كان أسرع من دقائق الأمور

دخل حياتنا بسرعة وخفة راقت لي غالب الأوقات، لكنها انتهت بموضعها الطبيعي في وقت مفاجئ.

أكتوبر 2007

- أنا مش هوديكي في حتة تانية غير حارة العيد وترجعي طوالي ع الدار جبل النهار ما يغرب.
- حارة العيد! هو أنا لسه صغيرة آني!
- عايزة تروحي فين خنجتيني؟
- عايزة نتمشى جرب البحيرة وهشتري عروسة.
- انتي اتهلتي في نفوخك يا بت! عروسة ايه!
- خدها يا أحمد عشان دي زنانة.
- والنبي يا أحمد وافج، وكمان ناهد هتيجي.
- ناهد! طب هو خالد هيجي معايا هوراخر.
- بجد؟
- آه ياختي ولومش عاجبك بلاش منها خروجة من الأساس.
- لا لا عاجبني، تسلملي.

اليوم هويوم سعادي الأول، لم أعتد على تحقق ما تمنيته، فما بالي بتحقق أمنيتان معاً؛ سأتنزه ومعى أخي وناهد، ليس هذا فقط بل ومعنا خالد، تروقني نظراته، هو أول حب، نعم أحبه! تكفي نظرة أبلغ من كلمات وسطور، أسوء ما به كونه صديقاً لأخي، لكن على أية حال أحبه، بتفاصيله الدقيقة وبهائه المعتاد، ونظراته الحميمة، استشعر حبه دون كلمات، لطالما كانت الهمسات بمثابة قبلات، والنظرات بمثابة أحضان دافئة، أشعر بنشوة الحديث والإحساس عند ذكره. كيف سأتحدث؟ كيف سأبدوله؟ يجب أن أظهر هذا الجمال الدفين بداخل تلك الريفية البسيطة، لكني

لا أمتلك سوى تلك الهلاهيل التي تفتقر معاني الجمال، ظلمها من غزلها، غزلها كي تكون قبور
لرمم الإناث دون موتهم.

-افتح يا محمود آني ناهد.

-جاية أهوه اصتبري.

-ازيك يا خالتي؟ أمي بتعيد عليك وبتجولك خدي طبع الكحك دهوه.

-فيها الخير أمك يا بيه، استني هجبلها من اللي خبزه.

-سماح فينها أمال؟

-جاعدة جوا مش مصدجة روحها إن أحمد هيفسحها.

-لا بجد! فيه الخير والله، انت يا سماح.

-سمعتك سمعتك اتهددي، تعالي بسرعة.

-مالك يا بوز الفجر، جالبة سحنتك يا موكوسة.

-مجلباش، بس أحمد هيفسحني، وخالد جاي وياه.

-ياختي، ودا اللي مزعلك؟ ما حبيب الجلب هيجي أهوه.

-هش، هش، وطبي حسك يا غبية انت، ما أنا ماعرفش هلبس ايه من الخلجات المنتنة دي!

وانتي كمان هتيجي، أنا جولت لأحمد.

-أبويا مهيرضاش، بس هخرج من وراه.

-أنا اللي شكلي ماهشوفش الفسح ولا الخروجات في عمري، أعمل ايه؟

-تعالي أشوفلك حاجة عندي، همي بسرعة جبل ما أبويا يرجع.

أواصل المضي في إتمام مرحلة لسعادتي، تختلط الأشعار وألحانها في آذاني، أستمع لمعاني
الحبالاشتياق تدق جدران هذا القلب الصغير الذي لم يذق تلك المعاني من قبل، يتذوقها قلبي
قبل أن يستشعرها عقلي، لا أبذل ذاك المجهود أوداك في تفسيرها بعقلي، يكفيني قلب شريد.

- أيوووووه، حلواالأزج دا، وهلبس عليه الشال الأزج كمان والطرحة بتاعت أمي.
- بس بس بس، طرحة أمك ايه يا معفنة انتي، الشال ماشي، بس خدي الطرحة دي.
- حلوة يا بت! تستاهلي البوسة دي ههههههه.
- لا ياختي خليها للحليوة بتاعك ههههههه.
- اختشي، هو أنا عارفة أكلمه حتى!
- مسم، كلنا كده في الأول، بكره تبوسي وتحضني.
- يوه يوه يوه، اختشي يا جلييلة الرباية انت أمك تسمعك.
- هههههههههههههه.

في مجمل تطورات علاقتها مع أخي، لم أتصور أن تصل إلى هذا الحد من الانحدار
نحو بذاءة تنتصب لها شعيرات يدي، ومع مرور أيام كثيرة تفهمت أن الله يخلق كل إنسان ووجه
عملته الآخر، فأحمد لا بد وأن له مثل من الإناث، ولا أظن أن ناهد تناقضه كثيراً، لكنها تمتلك
قلباً ذا رحمة واسعة، على أية حالهي من قدرها الله لي لتكون رفيقة دربي، ولو كانت الأقدار بأيدينا
لقمنا بتغيير الكثير والكثير.

ذهبت إلى الدار أتهياً لهذا اليوم المنشود، تمنيت لو أنني عرفت بأمر تلك النزهة قبل أيام عدة، ليس لأتحضر بل لأخذ قسطاً كافياً من الفرحة، فأول لقاء مثل العيد، لا تكمن فرحته في يوم العيد فقط بل لأيام ما قبل العيد، واليوم عيدان وليس عيد واحد. أضع صديقتي الزرقاوات فوق جسدي، أراهن أنهن يتسمن لي، يشعر قلبي بفرحتهن لذلك اللقاء. ارتديت الملابس وانتظرت باسمه أمام المرأة لفترة طويلة لا أعرف هل امتدت لأكثر من ساعة أم لا، لكنها كانت من أطول مرات سعادتي وبهجتي المتصلة.

-يلا يا بت خالد وصل.

-طب وناهد لساتها موصلتش.

-هكلمها آني جومي انت بس.

مضيت نحو الخارج تبحث عيني عن عيون زمردية كما صورتها مؤخراً، لتجد ضالتها في النهاية، أنظر له بدون خجل كأني فقدت تحكمي في جسدي لدقائق، أكملنا الطريق بعدما انضمت إلينا ناهد وابتعد قلبي بعيداً يحلق في عينيه، أشعر أنيأنصت لحديث بصوته هوفقط يسأل ويجيب، هوفقط، حتى عدت إلى عالمي من جديد أنظر لعينيه أيضاً لكن مالك الحديث شخص آخر.

-مكانش له لزووم الحلويات دي، هما لسه صغيرين.

-ملكش دعوة أنت، أنا اللي دافع هههه، إمسكي يا سماح.

-شكراً يا خالد، من يد ما نعدمها.

أشعر أنني سأذوب لتلك الابتسامة الماجنة بحق، تلتقاها عيوني كأسهم تُصوب لفريسة، وقد نجح فيما شرع فقلبي يخفق لحركاته وهمساته العفوية المتكلفة.

-وصلها وآني هكمل مع ناهد زي ما اتفجت معاك.

-متجلجش، اتكل انت.

-هما راحوفين يا خالد؟

-تعالى انتِ معايا هوصلك، وأحمد راح مع ناهد مشوار وهيوصلها.

-ايه!

تفاجأت من مُدعي النخوة والرجولة أن يتركني مع صديقه بعد أن كان يرفض فكرة خروجي من الدار لمجرد الخروج، حقق لي أمنية أخرى على أية حال، وشكره قلبي دون أن يبوح بذلك، يتساءل إن كان نصيبي ما قالته ناهد من تطورات في مجمل العلاقات أم كانت مبالغة، أم أن خالد لا يشبه أولاد عوض؟

-حلوالفستان والشال جوي.

-تسلم.

-مالك؟ مش عايزة تتمشي شوية؟

-مش عايزة أعوج ع الدار، لحسن أحمد يروح ويهدلونى آني.

-ههههه، لا متجلجيش أحمد لسه ليلته طويلة، المهم انتي، تصدجي مكنتش واخذ بالي إنك أخت أحمد.

- لا بجدا! أُمال مين كان بيفتحلك لما بتيجي!

- لا مجصدش، بس مكنتش بشوفك، مكنتش أعرف إنك حلوة كده.

تصلبت عروقي وكأن طبيباً ما نجح في تخديري، اضطراب شعوري أصابني، لم أكن أتوقع تلك السرعة في مجريات تلك الأمور، توقعت أن أستفيق بشهقة من صوت أمي تطالبني بالاستيقاظ لمماطلتي في نوم عبثي، لكن ذلك لم يحدث، لقد استمرت عيناه في ضخ المزيد من تلك النظرات الصائبة لعيني.

- مالك سكتي ليه مرة واحدة؟

- أ، أ، يعز مقدارك، دا عينك هي اللي حلوة.

- ههههه، لا بجدا انتي جميلة جوي، وإيديكي بردك جميلة.

- معلش يا خالد بلاش كده عشان بضايح، أحمد ولا أبويا يشوفونا تبجي مصيبة.

- آني عملت حاجة؟ أنا بجولك رأيي.

- سماح، سماح.

- يا مصيبي، دي حبيبة، روح انت دلوجتي.

- متخافيش، هبجي أشوفك تاني يا عسل.

- أيوه يا حبيبة.

- مين دا ياختي؟ ههههه

- دا خالد جربينا من الصعيد، كان بيوصلني الدار، بيحضي العيد عندنا في الدار.

- آه طيب، كل سنة وانتِ طيبة، أنا رايحة نواحي داركم تعالي أوصلك.

اقتلعتني مثل الزهرة في منتصف الشتاء، لعله تجاوز الحد المسموح لهلكني شعرت بذلك من زاوية مختلفة، وأخيراً وجدت من اقتحم حياتي في وقت تأخر كثيراً.

- أخوكي مجاش وياكي ليه؟

- اه اه خرج مع جماعة صحابه.

- وانبسطوا في الخروجة ولا مسختيها؟

- لا ياما كانت حلوة جوي، وخالد اشترانا ساجع وجيلاتي.

- يخيبك بت، شايفة نفسك مفعوسة!

أتسحب ناحية غرفتي في عالم ملائكي لا يراها ويشعر به سوى العاشقين، من ذاقوا الحب وعاشروه، من أحسوا صمت العيون وندرة الكلمات، تلك اللمسات وجدتها نسمات وأحسستها عبرات تذرّفها عيوني، أين كنت مني يا من بدلت ملامح وشكلت وجداني من جديد، تلك الابتسامة التي اعتدت تكلفها وصعب علي رسمها بين وجنتي، من اليوم سأجعلها تنطلق لتلازمني مشوار الحب والعشق.

.....

●● سبتمبر ●● 2009

أتنفس تلك الأتربة التي نفضتها عن تابوت ذكريات مهين لذاكرتي، فلعلك تتساءل لم هومهين،
لم لذاكرتي أن تتألم، كفى بهذا عبث، ليس لي أن ألوم نفسي لإخبار سمر بواحدة من قصصي،
لم أجرم، لكن ذلك الناقوس أخشأن يسرع الدقليؤذيي، فالذكرى لا تأتي منفردة بل تلازم
مشيلاتها.

-مالك يا سمر وشك مضايح ليه؟

-نورا اعتذرت ليا وقالت إنها مش هتخرج.

-بجد! ربنا مش مجدرلنا إننا نخرج.

-ايه الهبل دا، لأ طبعا لازم نخرج؟

-طب مع مين؟

-لوحدنا وخلاص، بلاش نضيع فرصة الخروج عشان مش هتتعوض تاني.

-ومش هتزهجي مني؟

-يلا إلسي، صحيح الفستان دا إلسيه.

-دا لونه أزرج!

-اه وايه المشكلة؟

-لا مفيش، عندي شال بيليج ع اللون دهوه.

-طب تمام.

يمثل ذاك اللون عامة وهذا الشال خاصة جوانب كثيرة لذاكرتي، بين ذراعي تلقى أول نظرة، أحس بأول لمسة، عاهد معي دقائق حبوراً معي يوم الرحيل والوداع، وفي لحظات نادرة الوجود. وضعت هذا الفستان الذي كشف عن جمال ذلك الغصن، وضعته على جسدي أتأمل بروز ملامحي وأنوئتي، لطالما حبست تلك الأنوثة تحت جلباب أمي، حرمت نفسي، فقدت أملي، بهتت ملامحيتحت هذا الجلباب، فكان لهذا الفستان القدرة على إخراج أجمل ما عنديمن خواطر، ينساب على الغصن مثل الحرير، يا لجمال لونه وصفائه قبل أن يكدوكم يشبهني ويُشبهه طريقي المعكرفكل معكرفشاهد صفاءً في يوم ما، كلما طال به الأمد ظلت ذكرى صفائه هي الأكبر، ولعل ضيق دائرة تلك النزهة تقحميني في مشاكل نفسية، فمن الطبيعي أن أكون محور تنفيس تلك النزهة المكبوتة بحق، سأعمل على أن أغير ذلك المحور رأساً على عقب، سأسأل لأعرف، لن أنتظر حتى أجد نفسي في خانة لا أستطيع الخروج منها.

وفي مقهى أوكافيه كما يطلق عليه من أرادوا تزيين الحروفبدأت تلك النزهة مجهولة المعالم والمحاور، لنأكون محوراً على أية حال، أتمنى ذلك، وأعتقد عكس ما أتمنى، وواقعي وافق اعتقادي.

- اشربي متتكسفيش.

- حاضر.

- وخالد بقا عمل ايه لما سافرتي؟ أظن اتضايق طبعاً.

- اه اكيد اضايح وكان زعلان.

-مالك؟ يعني هودا اللي عمله لما شافك سايبة المكان ومهاجرة؟ بالبساطة دي!

-لا لا جعد يجولي طب هتسافروا ليه وكلام زي دا.

-اه صحيح وانتوا جيتوا ليه بقا؟

-ما انتي عارفة.

-لا لا بصي يا سماح احنا اخوات، وفي حاجة انتوا مخبينها، طرقيتكم في التكتيم والسبب

الغير مقنع اللي خلاكم تيجوا مخوفني الصراحة، طب ما أنا بابا سابني لوحدي من سنتين وسافر

السعودية وماما كانت اتوفت مبقلمهاش سنة ومفكرتوش تيجوا تقعدوا معايا يوم حتى، سماح في ايه؟

اقتنعت بحجتها لدرجة أنني وددت أن أضحك من غباء حجة أبي، نجحت في إخضاعني بشكل

كبير، كنت قد وعدت نفسي بألا أكون محور لنقاشها، لكنني سرعان ما خالفت ذاك الوعد الباطل

من أصوله، فكيف لذلك أن يحدث.

-بصي، سكوتك دا معناه إن في حاجة، بس أنا هراعي إنك مكسوفة تقولي، وهسيبك لما تيجي

تقوليلي انت.

-مممكن أطلب طلب؟

-اتفضلي.

-عايزة أشحن كارت بعشرة عشان أكلم ناهد.

-كارت!

وددت تغيير هذا الحديث اللعين، لكن تبديلي كان أحمق ما يكون، لن أكذب، أشعر أنني أود الحديث مع رفيقة دربي، سأجنب كل تلك المشاكل بيني وبينها لأنني أحتاج إليها كثيراً الآن، أكثر من أي وقت، لم أشعر بأهميتها مثل الآن، فالإنسان لا يشعر بقيمة الماء إلا في ساعات صيامه.

-معاكي رصيد تكلمي بيه اللي انت عايزاه.

-تسلمي يا سمر.

هونت تلك الابتسامة على وجنتي سمر الكثير في فترة غياب ناهد، سأحكي لك كل شيء، أتمنى أن أحكي بحق.

-معاكي رقمها؟

-موجود في البيت في ورجة عيناها في الجوزلان بتاع أمي، كانت بتكلم أم ناهد من تليفون أبويا على تليفون ناهد، وأنا اللي كنت بضربه لأمي ع المحمول، فعيناه.

-وانتي مجبتيش موبايل ليه؟

-مرة جولت لأمي راحت زاعجة فيا وجالتلي هنتسهوكي بيه؟ هوانتي تعرفي حد تكلميه ع المحمول، وكلام يسم البدن.

-أه، معلش يابنتي، وهنفضل مخبيين كتير كده إنك معاكي موبايل؟

-متروحش بعيد يا ولا، دي آخر واحدة هتركبها.

-سيبيه يلعب ههههههه شكله ياعيني مشافش ملاهي قبل كده.

-كان بيركب الساجية في حارة العيد ههههههه دا أنا بدوخ من منظرها.

-ياسلام.

تعلمت بقدر كافٍ كيف أخرج من موضوع لا يروقني، ولكن ذلك ليس إلا إعفاءً مؤقت من العقوبة، فسرعان ما ستعود وتسألني، وستمنحني ضريبة لتهربي من السؤال مسبقاً بأن تسألني في تفاصيل أكثر.

-هنالك أغاني على الموبايل عشان لوحيتي تسمعي ومعاني سماعته في العلبة، كده خلاص علمتك كل حاجة، الرسائل والمكالمات والأغاني.

-تسلمي، خبيه عشان محمود بجا.

-طيب أنا جرابي اتقطع ورميته، خليكي حاطة، جرابك على طول عشان ميتلخبطوش.

-ماشبي، تعالي هنا.

وهبنا الله العين والسمع والحس فما أبدع أن تفقد معاني تلك النعم ثم تشعر بها فجأة ولولوهلة، فحياتي منحسرة في دارولواختلفت الديار، فالיום تنفست لأخرج خارج حدود دنيايمع كل كلمة أتفوه بها أتففس، وبرغم حمرة الخجل أتمنى أن أتففس ليمتلئ صدري بهواء صافٍ يحل مكان بديله المليء بالغيوم.

-أتأخرتم ساعة ورنيت عليكم في المحمول مردتيش، بجا كده يا بنت سعيد.

-معلش يا عمي والله المواصلات زحمة.

-عملت ايه يا واد يا محمود؟

- خرجت وُوت حارة عيد كبيرة جوي ياما واشترت ساجع.

- ههههه اسمها ملاهي يا محمود، وبعدين لو كنت أعرف إن الملاهي هتبسطك كنت هوديك كل يوم.

- ماهي حجة عشان كل يوم تنزلوا وتطلعوا، مياصة ومرجعة، الشباب بالكوم في الشوارع مناش ناجصين أكثر من اللي فينا.

- ايه اللي فينا يا مرات عمي؟ وبعدين هما الشباب ينزلوا ويخرجوا والبنات تقعد في بيوتها ليه؟ فرقت ايه البنت عن الولد؟

إياك وأن تخلطي بيني وبين سمر يا أمي، أخشى أن يختلط عليها الأمر فتتسى أن القرية في زوالونها تحادث الجامعية، فأمي وسمر يتمثلان في الشيء ونقيضه.

- لا فرجت كثير يا سمر، فرجت إن البنت حدها شرف تحافظ عليه وفي ناس، والناس بتلسن ع اللي رايح واللي جاي.

- البنت الكويسه بتحافظ على نفسها تحت أي ظروف لما تعرف دينها كويس، مش تحافظ على نفسها بكلام الناس.

- هي الجعدة دي ملهاش كبير ولا آني جرطاس وسطكم!

- آسفة إنني عليت صوتي، بس دا رأيي.

- واد يا محمود في واحدة اسمها أم ياسر في الدور الأول على ايدك الشمال تاني شجة، جبتلنا الطبح دا، جولها شكرا وجولها كل عيد وهي بالصحة والسلامة.

أتوجه ناحية ملجأى بعد حبس أنفاسي، انقضت ليلة مع سمر تماثل أخرى مع دخيل حياتي، فستاني أزرق، شالي يداعبني، اختلفت المواقيت والمفردات واحدة، أتجه ناحية تلك المرأة التي لا تشبهني، ما أجمل أن يكون البشر مثل المرأة فهي لا تعترف بغير ما ترى ولا تجامل ولا تزين، لكن اليوم مختلف، ما أجمل حليتي، هل سأكون منهن؟ تلك اللواتي قدرن أنوثتهن، قدرن الجمال، قدرن حكمة الرب في وجودهن، وعلى هذا المقعد ألتف، سأقف حتى لا يُكرمش، كم أنا جميلة في هذا الفستان الأزرق كالموج في صباح الشتاء، ولكن هل سأستعمل المحرمات؟

تلك القطع الحمراء من وجهي لا تحتاج للتزيين ولكن قلبي يحتاج لإزالة تشوهاتة، ما أبدع هذا المسترسل مثل الحرير، رؤيته تلزمني بتذكر أبي وهويقصه لي في صغري، قصه حتى يحافظ على نفسه، يحافظ على تسلطه الأعمى بدون عقل. أتذكر تلك الليلة التي نزعت من قلبي معنى الشفقة تجاه أمي وهي تمسك بيدي وتمنعني من مقاومة قص حريري وحرיתי، فلقد كنت في الثامنة لا أمتلك سواه ليدل على أنني صغيرة، لكن أبي كان يعتقد أن ما يدل على الأنثى هوشيء آخر يخشى أن يعرضه للعار، فهولم يكتف بالختان بل قص حريري.

-تصدقي طلعتي بتعرفي تحطي روح وأنا معرفش.

-يوه، خضتيني يا سمر.

-ههههههه ما انتي طلعتي حلوة أهوه،أمال في ايه بقا، مقفلاها ليه بس؟

-أنا مش بجفل حاجة، بس أبويا مبيحبنيش أبجي مايعا وييجول البت اللي تحط الحاجات دي تبجي جليلة الحيا وهيرني علجة لو عملتها.

-ياه، كل دا عشان صباح روج، خلاص بلاه، انتي أصلا قمر من غير حاجة.

-يعز مقدارك، وانتي زي العسل والله.

-أمال انتي مش ناوية تكلمي ناهد؟

-لا هكلمها، بس الصبح وأمي نايمة عشان أعرف آخذ رقمها من جوزلان أومي.

-أكنك عاملة مصيبة! ماشي.

صداع كاد يشق رأسي لنصفين نجح في انتشالي من أنقاض التساؤل، ينتابني هذا الضيق في أنفاسي من حين لآخر ملازماً لضيق مزاجي وحالتي، وإن لم أكنلم يقتصر أومي على الجانب النفسيل وزاد حد ذلك إلى بدني، ولنصائح أومي أصغي؛ القليل من هذا القرنفل والينسون يُوْفيدان أنفاسي التي ضاق بها صدري، وابطة الرأس تلك تُغني عن أدوية الصداع كافة.

-مالك يا سماح مالك في ايه؟

تخاملت نحوأرضية الحجرة أتشبت بخيوط رقائق في نهاية أطراف تلك الكسوة التي أحاطت بالوسادة، لم تعتد سمر لرؤية إحدى مراحليلكن تلك الحالة لم تأتني منذ قدومي هذا المكان، أتماسك وأنا أنصهر، يطلب قلبي أنفاساً كي يخفق لعله يهددني بالوقوف، هل يفعلها تلك المرة؟

-يا عمي يا حاجة زينب، إلحقوا بسرعة إلحقوا.

-استني يا سمر متجلجيش أنا تمام.

أحدثها بما أمتلك من قلائل الأنفاس، أحدثها وقد أفسحت رثائي لقلائل أنفاس أخرى، شاحبة اللون أمكث على أرضية الغرفة، وقد عادت حالي إلى طبيعتها تدريجياً.

-في ايه يا سمر مالك! يوه يوه مالك يا بت وشك متاخذ كده ليه؟

-مش عارفة مالها، مرة واحدة نفسها راح ووقعت في الأرض ومكانتش بتتطق.

-يخيبك، هي النبوة جات تاني؟ هوالحكيم مش كان جالك إنك بقيتي كويسة؟

لعل أُمِّي تظن أن جارنا حكيم قريتنا، نعمفهو من نصحني بالذهاب إلى العطار لشراء ما نصحتني به أُمِّي، معللاً ذلك بأن تلك الأعشاب تعالج والأدوية ماهي إلا سموم لا يفقه من ينصح بها.

-احنا لازم نكشف عليها عند دكتور.

-دكتور ايه وبتاع مين، تشرب ينسون وهتروج وتبجي عال.

-ينسون مين يا مرات عمي، سماح تعبانة جداً، انتي بقالك أد ايه في الحالة دي؟

-يووووووه، بجالي قيمة خمس ست سنين.

-دا كتير جداً على فكرة، بكره هتنزلي معايا ونروح نكشف عند دكتور.

-والنبي بس يا سمر، الدكاترة دول عاملين نفسهم بيعرفوا كل حاجة وهما مبيفهموش، دا ديك

النهارمات حامد جارنا جالها دكتور من مصر إنها حامل في واد، والبت فرحت وجوزها هلال،

وراحت لواحد تاني وطلعت لا حامل في واد ولا في بطة بلدي حتى.

-الأخطاء واردة في كل حاجة، بس سماح المفروض تروح لدكتور.

-مسم

أراقب هذا الحوار الشيق المعروفة نهايته قبل البدء، فهذا الحوار أعاد ذكراتي لسنين مضت، لأحاديث أبي وعمي سعيد، فكم تشبه سمر أبها وكم تشبه أمي زوجها، وكم أشبهها! فهي منزوعة الإرادة والتخطيط وقابلة للتسيير في جميع أمورها، تركت عقلها حتى تعطلو سمحت لأبي أن يشكل هذه الطينة الرخوة ليصنع أنثى شبيهة بأخريات، وساعدها في أن تصنع شبيهة لها هي أنا.

فأنا أشبه الشجرة المنجرفة في أعاصير وفيضانها تود طريقاً قد اختارته تلك الأعاصير، وتلك الشجرة لها أن تتذمر ولكن حرية التحرك ليست لها، أشبهها وهي حاملة بأغصان وأوراق خضراء تنبأى بها، لا ذنب لها بذرتها التي وضعت لتصنعها، لا ذنب لها بما اقتلعتها وحرمتها حرية وجودها حرمتها خضرة أوراقها، كما حرمني بهاء أنوثتي.

- اتدلي كده كل يوم عشان أنا اللي أعمل العشا ههههه.

- هههههههه تسلمي.

- بقيتي أحسن؟

- مصدعة شوية.

- طب بصي أنا معاينة برشامة صداع حلوة، خدي أهيه، والماية، أيوه، بالشفاء إن شاء الله.

- تسلمي.

- نتكلم شوية ولا تنامي؟

- لا نوم ايه مش جايلي نوم.

- طب نتكلم في ايه بقا؟

-اللي تحبيه.

-نتكلم في خالد؟

ظننت أن أعمار مرضي ستجعلها تناسي قصصاً ترهقني، ولكن اللوم يقع علي فأنا من فتحت مجال النقاش ولن يُغلق بدون أن أتذكر، ترهقني الذكرى وتؤلمني وتبعدني عن عالم إلى آخر.

●● نوفمبر 2007 ●●

حرارة الاشتياق لثاني لقاء فاقت الحد، قد أرسل لي رسالة مع ناهديخبرني برغبةً ولوعةً في لقاء ثانٍ، أراه بزغ بعيداً، انتظره دون صبر، أسمع تلك النبضات تسري في عروقي طلباً لإسراع خطاه، هيا أقدم، يالك من شال مشاكس، لا يكف عن المُداعبة، باليمنى أعدل من هيئة شالي وباليسرى أتمسك بأطراف الجلباب.

-ازيك يا غسل؟

-يوه، خضتني، الحمدلله وانت ازيك؟

-أنا بخير طول ما انت بخير.

-تسلم، ناهد جالتلي إنك عايزني في حاجة، خير!

-لا خير إن شاء الله، كنت عايز أتمشى وأتكلم معاكي حبتين، تعالي.

أمسك براحة يدي اليسرى لعله أراد منعي من رفع الجلباب، لكن عيناه كانتا تدليان بأكثر من ذلك رغبة، لا أرى في وجهه إلا عينيه، أشعر بانصهار جمودي، انعقد لساني لوهلة لكنني أسرعرت وسحبت يدي من وسط أصابعه.

-انت بتعمل ايه؟

-بعمل ايه يعني! بتمشى معاكي.

-تتمشى من غير سبب وتمسك يدي؟ دا معناته ايه؟

-معناته إني بحبك يا سماح، بحبك وعائز أتجوزك.

وللحظة شعرت بأني أسير على رأسي، أتضرع إلى الله ليمنحني ملجأً أحتمي فيه من تلك الكلمات، ظننت كثيراً وكثرت بي الظنون في معنى كلمة الحب، شعرته اليوم، أحسسته، نعم أحسسته، تركت يدي لتعانق مع راحته، امتنع قلبي عن الخفوق مجدداً، لكن تلك المرة لأنه أبيع أن يدق منفرداً بل طلب شريكاً.

-خالد أبيع ماشية.

يالغبائي، وبالاستسلامه، تمنيت أن يسير الزمن إلى الخلف في تلك اللحظة، أنا أحب، اليوم قالها، سماح تحب، اليوم سمعتها، قصة حب جديدة، سماح وخالد، لعل الأسماء التي اختارها الآباء ليست بالجيدة لكن على أية حال، لا أصدق نفسي، على الهواء أن يكف عن مداعبة شالي، أركض ناحية الدار وأشعر أبيع واقفة والدنيا تبادلني من منظر إلى منظر ومن شكل إلى شكل، وجدت نفسي أمام دار ناهد، لم اشعر بذلك، أدق هذا الباب أبحث عن سأكبي له تطورات أبيع تلك، من سيحتضني ويشعري بأنوئي.

-يخرب بيتك يا بيه بتنهجي كده ليه؟ بتجري من مين؟

-مبجريش من حد.

-وبتضحكي على ايه يا مجنونة انتي؟

-أبوكي جوا؟

- لا، وأمي نايمة، تعالي.
- رُحّت جابلته، خالد.
- آه وطلع عايزك في ايه؟
- جالي إنه بيحبني.
- ينيله، مكانش باين عليه.
- المهم إنه بيحبني، وعايز يتجوزني.
- طب بلاش تدلجي كده من الأول، كل الرجالة كلامها عسل وفعالها منيل.
- ياباي، جايا لك تسمي بدني! منجصاش.
- أنا غلطانة إني بوعيكي، مبروك ياختي.
- بس أنا جرّيت وسبته.
- هههههههه متخافيش هيرجع يكلمك، شكلك داخلة على وجع نفوخ يا سماح.
- ياختي انهدي، بلاش تنجّي فيها.
- رايحة فين؟ استني.
- عوجت على أُمّي، مش هوصيكي متجوليش حاجة لسبع البورمية.
- يعيبك!
- فوتك بعافية.
- يعافيك، سلام.

●●يناير●●2008

تمر الأيام بتفاصيلها الدقيقة لا تتوقف، ويتمسك عقلي بحقه في التفكير دون أن يمهلني حق التفاهم معه، فهو أسرع من دقائق تلك الأمور، أخشاه فهو عبثي عشوائي يوجهني دائماً نحو أعالي المنحدرات، يستمر بتذكر هذا الدخيل بحياتي.

مرت الأيام وكثرت اللقاءات وزادت وتيرة العبث والانسحاب، شعرت أنه حاكمي وليس لي به صلة، وتوغل ليصل لأمانيه واحدة تلو الأخرى، الرغبة تكاد أن تفقع عينيه لتحصل على ما أرادت، يحادثني عقلي قبل قلبي دوماً بأن هذا الطارق لديه رغبة هوجاء لا حب فيها ولا خضرة، وبالرغم من هذا العقل الذي يمتلك سلطة التفكير فإن قلبي له سلطة الفعل والأمر والنهي، وقلبي يخبرني بأنها الفرصة، وهذه هي المرة الوحيدة الشاردة التي أتى بها القدر في دائرتي، يخبرني قلبي بالألا أضيعها فأننا لم أحب من قبل، دوماً ما وددت أن أكون مثلهن، ربما للحب قاموس وترجمة، لا بد أن أقدم مقابل لهذا الحب.

هل ينبغي أن أضحي مقابل سعادتي؟ لكنني سمعت أن الحب هو علاقة راقية جمعت بين الأحباء والعشاق، نعم لم لا أضحي؟ يوماً ما سيكون زوجي، سيكون رفيق عمري، سيكون طريقي المستقبلي، لكن هذا التسويق يقلقني، القليل من التضحية لا تضر على أية حال.

-يا خالد بس بقا.

-مالك يا بت خايفة من ايه؟

-عمال تضميني بيدك اللي عايزة الجطع دي وأنا سيالك حالي، متزدش بجا، أنا عايزة أجولك
موضوع.

-خير؟

تشتعل أعواد الثقاب وتجد طريقها نحو سجائره الرديئة تلك، وينبعث هذا الدخان الذي اتخذ
الأبيض له عنواناً، أتردد أن اطلب هذا الطلب منه فالرد متوقع، لكني أتلدذ برؤية تعابير الكذب
في وجهه، ليس لي غيره هو من أحبني، من سواه!

-أحنا بجالنا شهور ياما بنخرج وبخلي ناهد تهربني من الدار وانت مفتحتش سيرة الجواز... ما
تنطج مش ناوي تتجدم لأبويا؟

-أتجدم بإيه؟ ما أنا هو جدامك لا شغلة ولا مشغلة، أبويا بيمن عليا بجرشين يوماتي وأنا بفحت
نفسي معاه في الأرض، ولو جطته إني هتجوز هيعمل مطرح نومي أوضة للبهائم.

-آهودا نهايته ايهان شاء الله؟

-نهايته خير يا غسل.

-باعد عني مش طايحة الريحة.

-بجيتي سم، في واحد صاحبي شايفلي شغلانة وهتزهزه.

-جوول يارب ياخويا جول يارب.

-رايحة فين يايبه مخلصناش؟

أثناقل حاملة همومي بين راحتي، ليس لي سوى الانتظار، الانتظار دون أمل! أركض دوماً بين تلك الشجرة وتلك، أختبي، أتسحب، أهترئ! الظن يشاكسني ويخبرني أن أتحمّل، فكل قصة جمعت بين حبيبين وجد بها أزمات وصعابفهل سيأتي اليوم الذي سأجالس فيه زوجي ونضحك ونخبر بعضنا البعض بتلك الصعوبات وكيف تحملنا بداع حينا الأبدى؟ وحينها ستتوغل راحتيه معانقةً شفنا يدي، سيخبرني بما كنا فيه وكيف تجاهلنا الواقع الباهت بكل شروره، حينها سينهي حوارنا المليء بالذكريات بقبلة حب تلخص مدى ما عايناه لنصل إلى تلك المرحلة، فما أجمل الطموح حينما تجتمع خصاله الوردية.

واستمرت الأيام بالمرور دون إذن، وحاولت استمالة قلب أمي لقصتي لعلي أفهم ما يدور بعقلها ناحية هذا الأمر الهام.

-انتي يا بت اقفلي الشباك دهوه وحصليني ع الطبخ... انتي يا بت!

-أيوه ياما فزعتيني.

-جومي ياختي طلي ع الرز أبوكي لوجه ولجا الوكل مش جاهز هيطفحنا التراب.

-حاضر ياما جومت أهوه.

-مسم، والنبي ياختي ماعارفة بختك المايل دهوه عشان ايه! دا اللي في دورك معاهم أرطة عيال.

-أرطة ايه ياما، أنا لساتي صغيرة وبعدين أنا مش هجوز إلا واحد بيحبنى.

-يوه يوه يوه، يا ما شاء الله، بجا عندك لسان وبتتكلمي زي البنات المايعة، بتجلدي مين يابه؟

تكونيش فاكرة نفسك عايشة في مصر! صحيح، بت عمك دهيه ملت نفوخك بالكلام بتاع

مصر، لكن ورحمة أُمي لو شُفتك بتجولى كده تاني لأكون جايلة لأبوكي عشان يحلجلك زي زمان،
تكونيش دايرة على حل شعرك من ورانا يا بت!

عادة لا تكتفي أُمي بنشر الكلمات دون أن تضيفي بعض الرتوش الهامة ما بين تلك النغزة وتلك،
ولا مانع لديها من شد حريفهفي تجيد التعبير بكافة الوسائل.

-ياما، ياما مكانتش كلمة دهبه.

-لا ياختي، خليكى فاكرة على طول البت ميعبهاش إلا شرفها، والشرف زي عود الكبريتااااااه
والله تعبت من الكلام معاكي ابعدي عن وشي، *مسم*جال يا مخلفة البنات.

-ربنا ياخذني عشان ترتاحي.

-يجي ريحتيني، إلهي تلدغك عجربة يا سماح.

هكذا تأكدت من وجهة نظر أُمي!

-ناهد هتيجي ع العصاري تجعد جاري شوية.

-تيجي ياختي، خلي أمها سايبها تدور على حل شعرها لحد مانشوف آخرته إيه.

عرفت ناهد معاني الحب قبل أن أعرفها، عزفت عن ذكور كثر، ذلك في سبيل ذاك الرجل الذي
أحبته منذ صغرها، ذقت معه أوائل كلمات الحب واستشعرتها، وما أكثر الإناث بهيئة ناهد وما
أكثر الذكور في هيئة أخي. أحببت كثيراً أن أشاركهم أحاديثهم المجهولة لعلمي أغير وجهتي عن

أحمد، لكن القدر أراد عكس ذلك، فبرغم مدى صداقتها لي إلا أن ناهد لا تفتح نطاقاً للحديث بهذا الموضوع المتهالك، لكنها تشكولي منه كثيراً، لا أعرف لماذا! لعلها تنتظر معاقبتي إياه.

كم يروقني أن أعرف نهاية المطاف بتلك القصة الباهتة ملامحها، تشبه اللوحة الفنية فاقدة التجانس بين عناصرها القلائلوتشبهني تلك القصة، تشبهني كثيراً، تتقارب على آذاني أصوات ناهد المليئة بالنشاط والتشدد، تتصارع نظراتي المطللة على باب غرفتي في انتظار دخولها دون إذن كعادتها.

- بت يا سماح، شفتي أبويا جابلي محمول من مصر زي اللي بيعجي في التليفزيون.

-اي، يخيبك وريني هاتي.

-بالراحة يا بت، أبويا جالي اسمه ناكيا، زي بتاع الواد محمد أخوحيبية.

-مسم* عجبالى ياختي.

-فين أحمد؟

-معرفاش أهويصرمح يوماتي ياختي.

-عايزة أوريله المحمول، أنا مش مصدجة حالي يا سماح، هحط عليه أغاني كل المطربين

وعمرودياب يا بت.

-ياختي، إيجي شوفيني الأغاني داهيه من نفسي، عجبال ما الفرغ يطل على دارنا.

دوماً ما تكون هي البادية بالأمر، فازت بالحب الأول وأكملت تعليمها والهاتف الأول، تتقاسم

معي الحرية بنسبة تسعة إلى واحد وبالتأكيد أنا صاحبة الرقم الأخير، نتمنى أن نعيش حيوات

آخرين، حيث أننا ننظر إلى نافذة مكسورة لا يظهر سوى نصفها المليء بما نحب أن نراه، لا نعلم خبايا الدهر، نرسم الابتسامة على وجوهنا بداعِ الابتهاج ونحن أبعد ما نكون عنه، فالجميع تعساء ولكن نسب التعاسة تختلف من أحد لآخر، وباختلاف النسبة تكمن سعادتنا، وعلينا أن ندرك في النهاية أن التفكير بمقادير السعادة لأمر ساذج بشدة، فأعوام وسنكون في زوال، ومن يكثر كيف كنت أو كيف كانت حالتك المزاجية في مثل هذا اليوم! سيكون لك أقران يشبهونك يعيدون قصتك وتجربتك.

وما أوده الآن أن أرى من سبقوني في تجربتي وعاشوها لأقبلهم وأحتضنهم بشدة وأحييهم على تحملهم، وأسألهم لعلهم زادوا أشياء لم أفعلها وغيرت مسارهم، لكنهم حينها لن يشبهوني، وأن أرى هؤلاء المستقبلين لأعطيهم نصائح لن تقدمهم على أية حال، لذا سأعيش تجربتي بما فيها من حزن وتعاسة، سأجلس في مقاعد الجماهير لأبكي حالي وأحزن ثم أنصرف بعد انتهاء تلك الدراما المكررة، من أنا حتى أكون؟ من أنا؟

.....

مارس ٢٠٠٨

ذهبت أتففس هواء الغروب لأضيعّ بعض همومي المتراكمة، ذلك بعد أن ودعت خالد إلى لقاء آخر في اليوم التالي، وبين نغمات الموسيقى من دكانة عم إبراهيم ترنحتوترنح قلبي وتمايلت آذاني على غير إرادة مني طلباً لدواء القلب وذكرى العقل.

أهواك، أهواك، أهواك بلا أمل

وعيونك وعيونك تبسم لي

وورودك تغريني بشهية القبلي

وورودك تغريني بشهية القبلي

استمىلّ قلبي ودعاني للوقوف بجانب تلك الشجرة التي دعت أوراقها للنزوح من أعاليها.

أهواك ولي قلب بغرامك يلتهب

تضنيه فيقترب، تقسيه فيغترب

في الظلمة يكتب، ويهدده التعب

فيذوب وينسكب، كالدمع من المقل

ورغمًا عني دعاني العقل للانصراف والهرولة نحوالدار فلقد فات موعد الرحيل، ومع نزوحى مثل تلك الأوراق وهرولتى نحوتلك الدار السوداءإلا أن قلبى شارك آذانى باقى كلماتها وألحانها، فدومًا ما سمعتها ولكن تلك المرة هى الأولى فى وجود حبيب، تختلف تلك المرة كثيرًا.

فى السهرة أنتظر، ويطول بى السهر
فِي سائلنى القمر، يا حلوة ما الخبر
فأجيبه والقلب قد تيممه الحب
يا بدر أنا السبب أحببت بلا أمل

حقًا بلا أمل!

أطرق باب الدار على أمل فتحهولا أسمع أى أصوات بداخل المنزل على غير العادة، لكن فاجعة ما أصابتنى بفتح المتهالك.

- إنت جيت بدري يا آبا! ااه شعري يابا إلحجيني ياما.

- كنتي فين كل دا يا بت الكلب إنطجي؟

- كنت عند ناهد يااااا شعري شعري.

- ناهد مين يا كدابة يا بنت الكدابة! الواد أخوكى راح من ساعة ومكنتيش هناك يا بايرة يا دايرة

على حل شعرك، جبتلنا العار يابنت الكلب، كنتي فين يا بت انطجي بدل ما أجيب خبرك.

- كنت عند حبيبة بتوريني فستان جديد جايبته وبعديها رحت لناهد والله يابا مش هتأخر أبدًا تانى

اااااااا.

-البت دي تتحبس هنا متتحركش من الدار طول منا مش موجود، لورجعت ملجتهاش هطلجك يا ولية.

-حاضر ياخويا هدي نفسك خلاص، كده يا مفضوحة!

-سيبيني ياما خلاص ياما هموت.

-إلهي تموتي ما توعي قادر يا كريم.

تهالك حريري من تحت تاجي فلم أجد من ينصفي، لا أم تُقصي جبارولا جبار يُقل من طغيانه، لم أرى في هذا الدار دموعاً تحنوعليّ سوى دموع البراءة، دموع طفلي محمود، طفلي وطفلهم، فبراءة الأطفال تضفي وجهتها عليه، لكن شائبة التعكير لا بد أن توجد فيه طالما تواجد في هذا الدار.

-خلاص يا محمود متعيطش.

-وانتي كمان متعيطش.

-مبعيطش أهوه.

-يدك متعورة، تعالي أربطها بجماشة عشان متوجعكيش.

-هههه طيب يا محمود.

أعرف أن يوماً ما ستتخلي طفولتك عنك أوتتخلي أنت عنها، وستصبح أحمد أو عوض أو أي منهم لا يوجد فرق، لكن بوقتي هذا لا بد أن أتطلع لبراءة عينيك لأتذكر أنك دوماً ما كنت جوارى، تستكين آلامي بنزول قطرات الذهب من عيني، تستكين وتهداً أصوات عقلي الشاردة في

المحال، تسمح جفوني بنزول آخر القطرات لتغلق للدخول في عالم اللاشيء، عالم الراحة والسكون.

oooooooooooo

تستفيق مشاعري في ذاك المكان الشاغر من المشاعر، تتلاحق الذبابات واحدة تلو الأخرى على وجهي لإفاقتي، لا أشعر بيدي اليمنى أسيرة التخدير، تحطمت بارقتي الوحيدة وهي الخروج من هذا الدار نحو منزل ناهد لتغيير ما عكرته الأجواء، فجلاذي أصدر قرار المنع وفي المنع جلدة، ألملم هذا الجسد الشاحب ماضيةً في طريقي نحو يومي المستهلك، لا يشغل عقلي سوى أن أصل مرادي، أن أقنعه بأن يأتي لينتشل تلك الجثة البالية قبل أن يتقاسمها الدود.

-ازيك يا خالتي؟ سماح لساتها نايمة؟

-أبوها رنها عالجة عشية إمبراح عشان رجعت متأخرة، كانت عند البهيمة حبيبة جبل ما تجيلك.

-ليه بس كده يا خالتي، يا سماح يا بيه.

-انتي مجولتليش لبييه إن محمود جالك إمبراح قبل ما أجيلك؟

-نسيت.

-طيب ياختي أديني اضربت واتهدلت، شايفة يدي أهيه وأهيه، كل دا عشان نسيتي ياختي.

-وطي حسك يا هبلة.

-بصي انتي تروحيله وتحكيه ع اللي حصل، ويمين الله لوما اتصرف لأموت نفسي وأرتاح من
المرار دا، حرام يا ناهد حرام.

تناولتني وغمرتني بحنانها المعهود في محاولة لتهدئتي، وغمرتني الدموع بملمسها الرائق على
وجهي.

-هكلمه، إهدي بس وجولي هديت.

●● يوليو ●● 2008

تناقلتني عبثية الساعات والأيام فتغيرت المشاهد ولم يتغير ممثليها، فأبي حلف وحنث وأمي
تضحى بكل ما تملك مخافة شبح أن يتركها ذاك الرجل، تضحى حتى بأبنائها بنفسها، وطارق
القلب ما زال يُغازل من بعيد.

-وعندي ليكي حنة مفاجأة هتطيرك من الفرحة لما تسمعيها.

-جووول.

-الواد ابن الحاج علاء هيشوفلي شغلانة في السعودية معاه، كان نازل زيارة حدنا في البلد وجالي
إني ممكن أشتغل هناك قيمة سنتين وأرجع معايا شيء وشويات، تشوفي الأبهة والعظمة اللي بجوا
فيها، هوداره كله تجوليش وجع على تل، واتجوز بت بدارة وطعمة وهتسافر معاه.

-يا سلام، ومين جالك إن البدارة هتستناك يا روح البدارة، سنتين دول تنهد وتجدد فيهم الدنيا.

-يعني انتي خلاص شايفاني مسافر بكره، بومة.

-يا خالد تعالى إجرا فاتحة وتعدل من عند ربك بعدين، أهلي محسني إني حمل تجيل عليهم،
تعالى حسسهم إني مش بايرة زي ما بيحولوا.... كنت حاسة إنك معندكش رد، شكراً يا ابن
الأصول.

-اهمدي يا بيه رايحة فين؟

-رايحة سجني، رايحة داهية تاخذني.

يتلذذ بآخر أنفاس سيجارة نتنة، يلبس مركوبه ويسرع نحوي، يحاول قلبي أن يبطئ خطاي في محاولة لإيجاد هذا الرد المأمول الذي طالما سعت نحوه.

-استني هوصلك يا بهيمة.

-منتحرمش من تعبك ياخويا خليك ممددها ع الترة يمكن تجرصك عجربة... بس، عايز ايه؟

-الكلام أخذ وعطا، خلاص هفتح مع أبويا الموضوع وربنا يجدم اللي فيه الخير.

-أخيراً سمعت منك حاجة تبل الريج.

-رايحة فين؟

-عوجت.

تمر وتمر، وأمر أنا بين عبثيات الحياة اليومية، أنتظر، أصبر، لا أجد شيئاً، أعيد الكرة من جديد.

●● يناير ٢٠٠٩ ●●

على غير عادتي انعقدت جبهتي مع نزول قطرات السماء الأولى، فهي دائماً تمثل لي قطرات لغسيل الروح وتهذيبه، لكن هذا الشتاء شعرته الأخير لقلبي، شعرت أن احتضان السحاب وغمري بمياهه لأمر تستلذه نفسي وروحي. كثيراً ما انتظرت بين تلك الشجرة وتلك وهنا وهناك لكن لا أعرف ما هذا الشعور الدخيل بين مشاعري المألوفة، بدأت حديثي بسخرية:

-عوجت ليه يا روحي؟

- اصبري عليا آخذ نفسي اتجطع، مفيش أصل صاحبي اللي كلمتك عليه دا كان بيكلمني ع التليفون.

-اشتريت كارت! مسم، ابجي دوجني العيش الحاف وأنا معاك يا نزيه.

-فضي السيرة دي، تع... .

مقاطعة إياه:

-اسمع انت، صبري عليك طال، لا جيت تجرا فاتحة ولا كلمت أحمد، وباجي أجابلك زي الحرامية، الحال دا مينفعش يا ابن الناس، هتاجي إمتي؟!!

لعلك تتفاجأ لم كل هذا التحمل! لم الصبر! لم لا أذهب وأصون كرامتي تلك التي نجح في تدنيسها! لكنلمن أذهب؟ فهل وأنا صريعة الغرق وسط الأمواج أرفض ذاك الطوق لأنه لا يروقني

شكله! أو لأنه ضيق بعض الشيء! فإذا عزفت عن هذا الطوق لعلمي أود الرجوع لأحضان البحر من جديد، لم أجد من يحنو سوى هذا الحنان الزائف، لكن لا يوجد بديل سواه.

-مش جولنا لما أحط رجل في سفيرة السعودية؟

-لحد إمتي؟ لا شوفتك حطيت رجل ولا صابع، عمال تشرجني وتغربني وهتنزلي على جدور رجيتي.

-بمناسبة رجبتك، عندي ليكي مفاجأة، غمضي عينك... غمضي يا بيه.

-ربنا يشفيك، أهوه.

وما أدركت إلا وحات تنسال حانية فوق عنقي، انسدت رقائق عقد اللؤلؤ المزيف، فبعد وقتٍ شعرت بإحدى جوانب الحب كدت أنساها، فمع زيف لآئه تجددت حقيقة حبي، أشعر بمغازلة هذا العقد على رقبتني، فللحب معانٍ كثيرة، لأهتم بقيمته قدر ما أهتم بمعنويته، لي هدية حب، لسماح هدية حب، يا الله!

-جمييل جميل جميل يا خالد، أنا بحبك جوي.

-أخيراً سمعتها منك، وأنا كمان بموت فيكي.

تركنا الكلمات مُعلقةً لتتهافت المشاعر على ملتقانا، في يوم لن أنساه أبدًا بكل تفاصيله، كلها. ظللت مبتهجة لا أصدق؛ أهذه أنا التي تُهادبوتُ حب؟ أم أنني أحلم! فإن كانت حقيقة فهي تبهجني وإن كانت حلم فالأعش برهته وسط ذلك الابتهاج.

عُدت من جديد إلى الدار أراقب خطواتي بحذر.

-سماح جت ياما سماح جت.

-اسكت يخريتك.

-عوج.... ايه دا يابت اللي لابساه دا؟

دا عٌجد ياما ادتهولي ناهد، حلومش كدهوه؟

-من امتي بتلبيسي الحاجات دي يا بيه في الشارع جدام الخلج!

-وأنا لبست ايه ياما يعني؟ ما كل البنات بتلبس.

-بتردي عليا كمان؟ ما انتي تلاجيكي بتمايعي بيه، يا حاج عوض تعالي شوف بنتك، هاتي يا

بت.

جذبت حباته بعنفٍ ظهر إثره على يدي.

-حصل ايه صوتكم طایل آخر البلد.

-بنتك جايهءٌ جدد لولي ولابساه في الشارع وجال اهي من ناهد، يلعن ناهد ع اللي خلفوها في

يوم واحد.

-انتي لبستيه برا الدار يا بيه؟

-اه بابا وبعدين في....

-بكره تدهني وشك وتجلعي الطرحة ويفلت عيارك العُجد دا ترجعيه لناهد بدل ما أخلي أمك
تروح ترجعه لأمها، ماهولو كان ليهم راجل يترد عليه كنت حُتله، خليه سايب حريمه وسارح بره
داره.

انخرطت عيناى في عزف المقطوعات المعتادة، وتوقف قلبي عن الإحساس بمعاني الأمل، فمع
تحريك جمود هذا الحبيب تزداد نيران الدار والأهل في الاشتعال، سأعطيه لناهدلعلها قادرة على
الحفاظ على تلك الذكرى الخالدة، فتلك أول هدية بمثابة أول حضن وأول قبلة على شفاه قلبي،
وهو أول من هاداني فكيف لي ألا أحبه وأضحى من أجله!

.....

●● أكتوبر ٢٠٠٩ ●●

-أحطلك نعناع ولا مش عايزة؟

-لا لا لا بيمرر.

-ها كنا وقفنا فين؟

-وقفنا فين ايه؟

-في حكايتك مع خالد.

-محصلش جديد، جعد يماطل ويلاوع ويجولي هكلم أبويا وهسافر لصاحبي السعودية،

ومتجلبش، وكلام مايع ملوش عازة.

-وسافر؟

-يا بت يا سماح، افتحي الباب.

-يلهوي خالتي جت وهتفضحنا ع السلم ههههههه.

كانت أمي قد ذهبت لتبتاع احتياجات الدار على غير عاداتها في دارنا بالقرية.

-انتي يا بت خلي عينك ع الشارع أخوكي زمانه راجع من المدرسة وممكن يجي في أي وجت.

-حاضر ياما.

-طب ما تجولي لأبويا يمكن يوافق.

-والنبي لوعملنا ايه ما هينزلنا، جهزي نفسك بس بعد الغدا في السريع كده.

-حاضر.

فقدت سمر الأمل في أسرتي بعد شهر فقط، وأظن أن ما أفقدها هذا الأمل هي خبرتي التي اكتسبتها من سماعها لرواياتي.

جلسنا على طاولة الطعام لا يتذوق لساني الطعام بل يتابع نظرات أعينهم ومتى سيفرغون من طعامهم، كنت قد أعددت الأرز وأحبه، وجلبت أومي سمك مشوي وأحببت رائحته، لكني لا أشعر بالجوع الآن لانشغالي بالتفكير فيما هو قادم، أتابع انسلالهم واحدًا تلو الآخر نحو الغرفة كعادتهم للراحة بعد الوجبة الثانية، وبهمس خافت أذنت لي بارتداء ملابس بالية حتى نسرع لوقت النزهة، لها تسوق ولي نزهة.

نجحت في فعلة تكاد أن تكون الأولى من نوعها في روايتي، فأنا لم أشهد أن عاهدت خروجًا من الدار دون إذن، ولكنه لأمر ممتع أن تكون سيد قرارك، وأتساقط نحو المنخفض كأوراق الخريف، أعرف أن العقاب سينتظرنى بعودتيوما ينبغي الآن هو التمتع بوقت النزوح في مهب الهواء قبل أن أرتطم بأرضية الأوراق.

-هنشتري فستانين واحد ليكي والثاني ليا وقبل ما تتكلمي متحاوليش تمنعيني عشان هنشتري يعني هنشتري!

-هههههههه وماله.

كنت قد اعتبرت هذا الجديد من الثياب بمثابة قبلة مصالحة على صفحة مشاعري المخدوشة قبل أن تُخدش، وبين هذا الفستان ونظيره من الجمال والروعة ود عقلي عودة زماني وعمري الباليعله يقنع غصني المتذمر أن يخلع ثوب أمي الذي ارتداه عقلي قبل جسدي، بأن يرتدي تلك الثياب وهذا الفستانوذاك الأزرق، ياله من جميل لعمرى بالعاشرة، وذاك لعمرى بالرابعة عشر، وأين قلبي من ذلك! ليعطيني الله القدرة على إزاحة السواد الذي تزين به لعمره، أود أن أختار الآن لعمرى، لمرحلتى الجامعية دون أن تكون جامعية، لا بديل عن أزرق الفساتين.

-أنا هقيس في البروفة دي، خشي انتِ هنا وإقفلني عليكى كويس ووريني بقا الجمال.

كانت سمر هي من اختارت ثيابي الجديدة مع إذن منى بالأزرق، دخلت وأغلقت ونظرت لمرآتي، أنعي قُبْحها، أزيل شوائب وجهي دائمة الوجود مع إزالتها، أزيح رابطة حريري التي لم أرْتديها لقناعتي في يوم من الأيام، كنت قد أردت أن أقنع بها لكن الإجبار خير وسيلة ومنهج، أتحسس جروحي وانسكاب ذكريات لم أحبها قطتندر بنذير التذكر، تركت هذا كله وتحسست اللون، تحسستهبورفق الحبيب أنزلته دون إجبار، فقد شعرت برغبته الجامحة في أن يستمر بالهبوط دون توقف حتى يصل لمنتهاه، ليصل لرغبتيهذين جزءاً من قبح الزمان والبشر، أراد أن يساعدني بما أمتلك من جمال اللون والنقوش، رأيتني فتاة العاشرة والإعدادية والعشرينية، أزرق كموجي كذاكرتي كشال الذكريات.

أتأمل بروز ملامحي وأنوثتي، أتعجب من دفنها بتلك الطريقة، فأنا جميلة، نعم أنا جميلة وأشعر
بذلك كأني أتعرف على ذات ليست بذاتي، وقد بلغت ناطحات الفرح لأتفوه بتلك الكلمات
العابرة، وبفزع أيقظتني سمر من رقادي تحت هذا الفستان الموجي.

-سماح انتي جوا؟

-أأ هاه اه اه هجلع أهوه.

- انتي حبيتي المكان جوا ولا ايه ههههه... لسه؟

-أهوه خرجت أهوه.

-يخرب بيت شكلك انتي عملتي ايه في الطرحة اعدليها هههههه.

-حاضر حاضر، شكراً يا سمر ماتحرمش منك.

-مفيش بينا شكراً انتِ أختي الصغيرة يا حبيتي.

ترسم وجوه كثيرة على عيون القلب، لا أستطيع أن أميزها أو أتخيرها تجاه رفيقتي الكبرى،
تماطل عيناى لسرقة نظرات من تلك الأزياء، ويسارع قلبي الخطى ظناً بأني سأتجه للمنزل أو
لارتداء جديدي، لكن عقلي أخبره بتفاصيل أكثر عن النزهة.

-هما هيتأخروا شوية، أطلبلك ايه؟

-منتحرمش منك.

-يابنتي لازم نطلب قولي أجبلك ايه؟

-اللي يجي منك.

- اتنين مانجا لوسمحت، يلا كمللي الموضوع بقا.

في محاولة للتظاهر بعدم الفهم:

-موضوع ايه؟

-موضوع خالد والهدية عملتي فيها ايه؟

جذب أطراف الذكرى لا يسلم من التذكر، لا بديل، يلين قلبي لأن أتذكر هذا اليوم فهو بمثابة عبرة
وعبرات لن أنساها دوماً.

●● ٢٠٠٩ ●● يناير ●●

في صباح الحشرات كعادتها وقد ملئت الدار بأصوات محمود يزعج ساكنيها، وأمي تحرك رمال أرضية الغرفة تنظيفاً لتضع تلك الرمال بجوار إحدى أركانها الذي لا ينتظر أن تخرج أُمي من الغرفة حتى يعيد الانتشار في أرجائها من جديد، استيقظت وسط تلك الضوضاء المنبعثة من ثنايا رأسي متسربة نحو غرفتي متسربة من عالمي الواسع نحو عالمي الضيق محدود الأبعاد، نشرت غبار الوجه بمياه فاترة محددة وجهتي لتنفيذ ما دار بعقلي في بدايات نومي أمس.

-رايحة فين يا بيه؟

-رايحة أرجع العُجد لناهد ياما زي ما جولتوا.

-*مسم*، سمعتي الكلام يعني من امتي ياختي! اجعدي اجعدي بلا عجد بلا هبل.

-لا ياما لازم أرجع هولها عشان أنا مصحش آخده من الأول.

-بجيتي عاجلة مرة واحدة، روعي ياختي ربنا يكملك بعجلك يا مؤدبة.

لم أقتنع بتفوهاتي ولولوقت قولها حتى، لكن تلك الفكرة التي استحوذت على تفكيري تستحق الكذب ونفاق النفس قبل الغير، أتجه في سرعة حماسية مخافة فقدان تلك الفكرة، أطرق دار ناهد.

-مين ع الباب؟

-أنا سماح.

فتحت أم ناهد باب دارها.

-متلجحة جوا عمالة تبكي على حالها معرفش مالها الخاوية بت الخايين.

بالتأكيد لن تختلف وجهة غضبها اليوم، بالتأكيد سنذكر في هذا الحديث: أحمد، ناهد، زواج، رفض، كلمات ترتب نفسها دائماً تحت راية علاقة مخاطية عنوانها الدموع، سئمت من ذلك.

-مالك؟

.....-

-هتجولي ولا أمشي يا ناهد، مالك يا بيه؟

-هوفي غيره الفالح ابن الكلب الكداب.

-ههههههههه جصدك على أحمد، عمل ايه جديد.

-جلهالي على بلاطة إنه مش هيتجوزني، جالي أنا ماشي معاكي وضربني يا سماح ضربني.

-بس بس خلاص.

أعرف مستوى التدني في علاقتهما إلا أنها بقلب، تضعف وتشعر، لن نستطيع تغيير سنة البشر جميعنا بقلب، تختلف غلاظته من واحد إلى آخر لكنه موجود، نادرماً أبكي لها لكنه نجح في قطع وريد مشاعرهما، أسمع حشرجة قلبها بآذان قلبي.

- خلاص أنا هديت، حكالي إنك اتبهدلتي في البيت وأبوكي سمعك كلام يسم البدن.
- جالك ليه؟
- لا مجالش وآني مسألتنوش، مطيجاش أفتح معاه كلام من أساسه، جولي انتي.
- خالد هاداني بعجد لولي، وربنا.
- يا حلاوة ياختي، اتشطرتي أهوه، وبعدين؟
- يا فرحة ما تمت، أمي جفشت في العجد وقاتلتي منين جولتلها من ناهد، جالتلي ترجعيهولها، وأبويا جال الشريط بتاعه.
- وانت هتخبيه عندي؟
- سيبك من العجد دهوه دلوق، أنا عايزة أعمل مفاجأة لخالد.
- هتعملي ايه يعني ياختي؟
- هجبله هدية.
- مش بجولك اتشطرتي، ربنا ياخذك يالي في بالي.
- أجبله ايه؟
- تعالى نروح لسلامة عند الدكانة هناك نشوفله جزمة ولا حاجة، بس استني معاكي فلوس ولا هتجيبني منين؟
- أمي كانت سايبه معايا فلوس كسوة هعملها عند الخياطة، هجولها وجعت مني.
- يخبيك!
- ديته عالجة والكلمتين وهتديني غيرهم، ولا حتى معملش كسوة، أهم حاجة أجيب لحبيبي هدية.

-حبيبك! *مسم*، اتشطرتي جوي جوي.

تتطير تلك الرابطة تجاه هواء يناير، وأنا المقاومة لتلك الرياح أسعى بكل ما أمتلك من خطى
وحماس للمهاداة، أن تهادي من تحب ياله من شعور، أن تهادي نفسك تكافئها لذاك الحب
الناشئ بداخلك، فمن تحب هونفسك، وما أجمل أن تعيش تلك المشاعر للمرة الأولى كالحب
الأول، ككل شيء وهو أول، فالإعادة تقتل حماس عيش ما هو مختلف، فبالإعادة لم يصبح
مختلف.

-غالية جوي الجزمة، هاتليه حزام على جد فلوسك.

-حزام!

-لإما ترجعي الدبدوب دهوه اللي أخذ كل الفلوس ونجيب الجزمة.

-لا لا مش هرجع الجلب، دا جميل جوي، خلاص حزام حزام.

انغمست في تفكير شارد نحوالتكهن بتعايير وجهه عندما يرى تلك الهدية، سيبتسم ويقولها لي
مجدداً أم سيحتضني على الملأ دون أن يكثر بمواثيق الحياء؟ بأي شيء سيفاجئني هذا
الدخيل؟

-إلحجي أخوكي كان عندنا في الدار، محمود يا محمود.

-كنتوا فين؟

-كنا عند الخياطة.

-أمك بتسعوجك، جدامي يلا.

-زي ما اتفجنا بليل هاه.

-ماشيمتعو جيش عليا.

لا أدقق في أصوات محمود بالخلفية لكن أصوات التفكير هي المسيطرة الآن بما لها من حق في ذلك، أنظر وأنتظر الوقت أن يمر، ولا يكف عقلي عن التكهن بتعابيره المنتظرة، يتذوق فمي طعام الغداء فرحاً بمرور بعض الوقت، لم أنشغل بنوم القيلولة كعادتي، وأخيراً مر الوقت وجاء موعد الذهاب قرب اختلاط أشعة الشمس بمشيلاتها من السواد.

-آني رايحة ياما للخياطة.

-ترجعي جرب المغرب متعوجيش.

بصوت متنهد من فراشها أمرتني بالمغادرة.

أطلع نحو طريقي باتجاه ناهد، أسلك أقصر الطرق، يهتز جزعي أملاً في الإسراع، أرغب في إلقاء نظرات إشباع من هديتي لخالد، أرتدي شالي كعادتي ليعطيني سلاًماً نفسياً يساعدي على تخطي خجل المرة الأولى.

-جاهزة؟

-بجالي ساعة مستتية أهوه، أنا رايحة ياما.

لم تنتظر أن تسمع صوت أمها، نسرع سوياً.

-أنا هجف بعيد وانتي يلا روحيله.

-انتي هبلة يا بيه؟

-لا لا أنا أجصد انتي جوليله إنك عايزاه في حاجة وأنا هستخبي وأطلعله بالهدية.

-حاضر يا أم جلب حنين.

-آه بجولك، لما يجي بجا ونتكلم وكده ابجي روحي انتي.

-هههههههه متجلجيش همشي مش هبجي عزول.

أشتم رائحة بارود مفرقات الأطفال تطفوفوق ساحة أنفي، تساءلت وتساءلت ذاكرتي أكان هذا اليوم يوم عيد أم وقفة لعيد! لم أشعر سوى وأنا أرى ناهد توقف طفل.

-تعالى هجولك، خود الخمسين جرش دول وخش جوا الدار داهيه وجولهم صاحب خالد عايزه، متجلوش إن واحدة اللي عايزاه، فهمت؟

-أه

-يلا روح.

تسللت خلف تلك الشجرة التي أحفظ مخابئ حشراتنا عن ظهر قلب، كثرة ما قابلته هنا وبين الفعل وردته أنتظر الرد، جذبت ناهد انتباهه.

-بس تعالی تعالی.

-عايزة ايه دلوق مش فاضيلك؟

-ردك سم، عندي ليك مفاجأة.

-مفاجأة ايه وهباب ايهأنا سايب الرجالة في الدار.

-رجالة ايه وبتاع ايه، في ايه مالك؟

-انهارده جراية فاتحة وخطوبة على بنت الحاج أيوب.

-جراية فاتحة مين؟ يخرب بيتك!

أنكرت سماع ذلك، ليس هو، وخرجت من خلف الشجرة لأشاركهما الحديث.

-خالد، أنا جبتلك هدية.

خرجت من وراء مخبأي وقد خبرتني عيناى أنى أدمع، خرجت وابتسامتي تخبر دموعي أن

تنسحب، على أحدهما أن ينسحب، فقلبي متحير، هل ما سمعته صحيح!

-ايه اللي جاب المجنونة دي كمان؟!

-ههههه الله يسامحك، جبتلك دبذوب على شكل جلب.

-جلب ايه وهباب ايه غوروا من هنا دلوق أنا ورايا مستجبلي، مش فاضي للعب العيال الماسخ

دهوه.

وبضربة أطاحت بما في يدي وقلبي طرح قلبي أرضاً، ينتظر إسعافه ولن يسعف، فقلبي ينتظر قلبه.

-لعب عيال ايه، وهتخطب مين؟ انت، انت مش جولتلي بحبك وكنا بنتجابل ووعدتني بالجواز!

خالد هوانت مش جبتلي عجد؟

-عادي كنتي رفيجتي وبتسلى مع بعض، لكن يوم ما أتجوز هتجوز بت الناس اللي تصوني مش

اللي تمشي معايا من ورا أهلها، مش بعيد تكوني ماشية مع حد غيري.

-ناهد! انتوا بتضحكوا عليا وعايزين تفرعونوني؟ بنت ناس! وأنا بنت مين؟ أنا بنت كلب؟ يخرب

بيتك يخرب بيتك، ربنا ينتجم منك.

-وطي حسك يا مرة وامشي من هنا بدل ما أجرسكم.

-خالد انت مش جولتلي بحبك؟ استنى بجولك.

أشاهد دموع ناهد وهي تحاول أن تحتويني.

-خلاص يا سماح الناس هتتلم علينا، وطى حسك.

-الله يخرب بيته، الله ياخده، يا ابن الكلب يا كداب، يا ابن الكلب، ااااه هموت يا ناهد.

-جومي جومي عفرتي هدمتك، معلش جومي، ربنا ينتجم منه.

أن تفقد طوق خلاصك الوحيد، أن تتعفر ماهيتك وأحاسيسك وسط أكوام التراب، أن تفقد

الشعور، تفنقد حواسك، عالم اللاشيء يحيط بك، ذكرى لم تدبل بعد، أن تكون صريع الحب

الكاذب، أن ترى تشييع جثمانك دون أن تمتلك يدًا في خلاصك، كل ذلك ولم أبحُ بخصلة من سواد نفسي وألمي، لمن سأذهب! من اليوم فقدت ما تبقى لي من كنية، من شعوري بالوجود كإنسان، من رحمة الله أن خلق النسيان، ولكن مرور الذكرى العابرة له ألم من نوع خاص، لم يشعر به سوى من قُتلت مشاعره دون رحمة.

.....

●● أكتوبر ٢٠٠٩ ●●

أرتشف رشفة أخيرة تغني عن جمال ما بهذا المشروب، أرتشف وأنتظر ما تبقى لسمر من تطفل.

-وقابلتيه تاني؟

-فضلت مش مصدجة إنه عمل فيا كده، وكنت حاسة إنه مكانش بيخطب بخاطره، فكرت أبوه

اللي خلاه يعمل كده بالعافية.

●● ٢٠٠٩ ●● يونيو ●●

أطرق عنوان دارها أملاً في أن تفتح مسرعة، طلباً لإخبارها ما هوجديد.

- كتي فين؟

- كنت مع خالد.

- أنا مش جولتلك كفاية مجابلات معاه! دا بجى واحد خاطب.

- ما هوخلاص جالي إنه هيفسخ خطوبته وهيتجدملي.

- كان اتجدملك زمان، دا بيضحك عليكي، انتِ نسيتي عمل فينا ايه؟ فاكرة لما شتمك ورمى

هديتك؟

- بكفياه الكلام دهوه، هوجالي انه هيتجدملي.

- لما نشوف آخرة المطاف.

لم أصدق ما تفوهت به، لكن قلبي أراد أن يصدق.

●● أكتوبر ٢٠٠٩ ●●

قاطعت صديقات سمر ما تبقى لي من نهايات لم أرد أن أخبرها إياها، قرارات اتخذتها ونجحت في تنفيذها، وأنتظر عواقبها.

- ما لسه بدري!

- والله الدنيا واقفة والشوارع زحمة، معلىش.

- أكيد دي سماح، صح؟

فتاتان في عمر سمر اجتمعن على العقل وخلفهما مظهر وراثي، ولكني اختلفت عنهن مظهرًا وعقلًا، تظنني لا أدرك وأنا أدرك، وستجدني أدرك. طال الحديث الذي كان لي بمثابة المشاهدة فقط والاستماع، أحسست بثقل ضيفي عليهن لذا أحببت أن أنصرف لما أحب.

- هي الدنيا بتمطر؟

- اه بتنقط.

- هجف شوية بره.

- آجي معاكي؟

- لا أنا متجلجيش عليا.

انصرفت إلى قطرات التهذيب ولم تكن الأخيرة كما ظننت، تقع وقعتها دون أن تحدد وجهتها، نحن من نحدد وجهتنا أسفلها لأننا من نحتاجها دون أن نشعر بذلك، يخشاها البعض وتخشاني هي، ولا أعرف لم تخشاني! أذوب بها لكثرتها وقلتي وحببي وكرهها لي.

-انتوا خلاص مروحين! لاجتوا؟

-دا انت اللي بقالك كتير واقفة برا، للدرجادي بتحيي الماية ههههههه.

-مبحش الماية، بحب المطر، النقط.

لم تفهمني وتجاهلت الاستفسار، كيف لها أن تستفسر عن قلب تحير به صاحبه، تحير أن يعرف ما يُقصيه وا يُدنيه، فلقد غلف قلبي من بجواتي حتى عجزت عن فهم ما يُتيمه.

-أنا كرهت الخروج والفسح في البلد دي، بجد الواحدة متقدرش تخرج براحتها من غير ما الحيوانات دي تقعد تبصلنا بصات حقيرة شها.

-هدي أعصابك، مهما كان دول رجالة.

-مكانش يصح تتأخر بليل كده واحنا حریم.

-واحنا ايه؟ سماح معلش قفلي الكلام في الموضوع دا دلوقتي.

انفصامي ضايقها كما توقعت، لكني لم أضع يدي على منطقة الخصومة في حديثي.

- اتأخرنا جوي، بس كويس إن أبويا متصلش عليكي.

- لأ دا أنا موبايلي فصل أصلاً من بدري.

- بتتكلمي جدا! يلهوي يلهوي يلهوي.

- ايه مالك؟

- أبويا هيجتلني.

- مش هيعملك حاجة إن شاء الله.

- ربنا يستر ربنا يستر.

أزحزح أقدامي على جنبات السلم وأصعد وكلي ترقب لما سيحدث في دقائق المقبلة، تضع سمر مفتاحها بدقة في فتحات صنعت له، أسمع طقطقات مفاصل قد عتى عليها زمان، تتخاذل عيناى وتنسحب نظراتي خوفاً من استكشاف مجهول الرؤية خلف باب الدار، أبيت يجلس وتقفد منه براكين النظر قبل أن يحرك ساكنه، يجذب ما أثار نفسه منذ طفولتي، يجذب شعري وشعوري لأسفل قاع.

- كنتي فييين يا صايعة، نزلتي فين من ورايا؟

- اااا يا بابا بابا.

- سيبها يا عمي عشان خاطري سيبها سيبها.

- حاسبي يا بنت انتِ كمان، أنا مليش حكم عليكي، الله يرحمه سعيد معرفش يربي، لما تغفلينا

وتنزلي

وتتلفي حال بنتي كمان، أهودا اللي ناجص، كنتي فين يا بنت الكلب ردي.

-هموت إلحجيني يا سمر هموت اه آآه.

-سيها!

ومن جديده أن زاد الأمر قتامة بأن طرحني أرضاً بعنف قضى على ما تبقى له من مكانة في عقلي،
فمكانته في قلبي قد فنيت وواراها التراب قبل قدومي.

-تعرف إني بكرهك ومش بعترك أبويا، بكرهك!

أتم بغضه بضربات ولكماتأسالت دمع أنفي وفمي،دما قلبي، ود الخلاص، في طريقه للخلاص
كلمات تضعها مشاعري ولم أكتبها، تغافلت جفوني وانحنت نحو إغلاق أردته أن يدومولا أعرف
ما قد ينشده من ذلك، لا أسمع سوى أصوات مغلقة ومكتومةوقد عجزت عيناى عن الرؤية.

-إلحقيها يا خالتي! سماح هتروح مننا، كلموا الإسعاف، هاته من الشنطة يا محمود، هااا،
عينيها مش بتفتح، البت هتموت!

لم أستعد رؤية عيناى إلا وقد رأيت نفسي في غرفة أحاطها اللون الأخضر من كل جانب، جذبت
يدي لعلي أسعى في هذ الحلم الغريب لكنها موصدة بما يقيني على قيد الحياة، تذكرت
للحظات وأدركت أنى في مشفى. كل ذلك ولم أحرك جفوني أو أجذب يدي كما
اعتقدت،تذكرت لحظات شرودي وسمر تصرخ بفرع في أوجه الممرضات كي يأتين بطبيب،

أتذكر أيضاً أن أبي اعترض أنيكشفي رجل وإن كان طبيب، صرخات سمر تعالت ووضعت حداً لتسلطه الغير مبرر، تسلطه الذي طالما تغذى عليه.

- راجل ايه وست ايه سماح بتموت دلوقتي! إدخال يا دكتور بسرعة إدخال.

- هتمشي كلمتك عليا؟!

- لا همشي كلمتي ولا بتاع، بس ارحمها حرام عليك ارحمها بقا.

وبين تذكري لذلك عدت بعض الشيء إلى رشدي وليس برشد، عادت آذاني وادخرت مجهود العين للسمع، أتطلع لسمع حديث قطبي الألم.

- مكانش لازم ترعج وتهلل علشان الدكتور راجل ولا ست، البت كات هتموت.

- انتي مبتفهميش يا ولية؟ شغلي نفوخك.

- أشغله على ايه ياخويا!

- أنا خفت يجول جدام البت سمر إن سماح مش بت، ويسأل فين جوزها ونجوله ع المصيبة اللي حصلت لها في البلد.

- داهية تاخدها جابتلنا العار والكافية.

ولم ترد عيني ادخار المجهود بأن أشاحت النظر نحو وجهتها لترى أبي وأمي وقد كشفا عن سري، وترى أثر ذهول سمر وقد وقفت تتلصص السمع بجوار باب الغرفة ولم تدرك نفسها إلا وقد كشفت عن وجودها أمامهم، ولم أدرك عيناى إلا وقد غلفهما السواد نحوراحة أتمناها أبدية.

الفصل الثاني

سمر

●● ٢٨ أكتوبر ٢٠٠٩ ●●

9_18 am

أقف بجانب تلك المرأة عديمة الإطار ذات نصل حاد منطفئ البريق، أضيف رتوش الزينة على وجهي، أنصت بانتباه إلى ألحان هاتفي أملاً في أن يهدأ بوقدرسرعتي في إنجاز لوازمي. لم يكن باطن عقلي قد استفاق منذ هلع ليلة أمس، صدمات وفرع، حديث لا تصدقه آذانيوقد تنبأ عقلي به من قبل، وأقف بحرية لأول مرة منذ شهور أمام المرأة، ذلك بعد أن خلى الدار من ماكثيه البائسينوماكثته البالية.

ما زلت أستفيق وأتأهب ليوم مجهد قادم في جامعتي، ينشغل تفكيري بما هو قادم، بالمزيد من المفاجآت التي يخبئها هؤلاء، غريبواأطوار و الصدف. يسيطر ما دار ليلة أمس على عقلي، أندرج وأستمر وأثبت الخطى نحوالدرج.

-يخرب بيتك بقالي ساعة برن عليكى، بطلي تكنسلي وابقي ردي عليا، اتأخرنا على فكرة وهنتپرد شكلنا، انتي ساكنة ليه؟!!

مقاطعة لشررتها المتسارعة دون توقف.

-بس بس بسس، انتي بالعة ايه!

-مالك مش عادتك تبقي ساكتة يعني؟

-مفيش، منمتش كويس بس.

-ليه؟ عشان قرابيك دوول برضه؟ شكلهم بيستعبطوا على فكرة وناويين يقضوها معاكي مدى الحياة ههههههه.

-بنت عمي تعبت امبارح أصلا ونقلناها المستشفى.

-لا حول ولا قوة إلا بالله، مالها بس!

رفضت أنا خبرها دقائق الحدث كنوع من خصوصية سماح، وحتى لا ننسل وراء تفاصيل طاعنة لذاكراتي بمرور الوقت.

-تعبت شوية، سيبك دلوقتي من الموضوع دا، حضرتي الاسكريبت؟

-اه ع الكرسي اللي ورا.

سحبت الأوراق أنظر إلى حروف الأوراق بتمعن، أحاول تقليب النظرات وتركيزها لکن تشتيت عقلي كان له الغلبة في ذلك، شعرت بدوار أزاح عن عيني تلك الأوراق ورغمني على تغيير محور الرؤية نحو نافذة سيارتها.

أنظر لهؤلاء المارة، أود لو أعرف هدف سعيهم وانكبابهم على تلك الحياة المملة المكررة، نعيش ونحب ونؤذي ونضر ونجمع حولنا مفرداتها الفانية، ما الأمل في ذلك؟ فأنظر إلى عمري وقد

فقدت عقدين ونصف العقد من الزمان، أشعر بأني وليدة الأمس لم أمر بصعوبات أو خبرات، أغمضت عيني، تحسست عمق ظلال السواد المحيط بي في تلك اللحظة، أخشى أن أفتحهما وأجد نفسي قد فقدت عقود أخرى بسلاسة سريعة، أخشى الموت، لا أحبه، أهرب وأنفر من ذكراه وأعرف أنه سيدركني، انكمش خيالي عائداً إلى مخبئه بمقاطعة صديقتي نور.

- كلمتيه تاني؟

- لا ومش هكلمه لما أشوف أختها معاه ايه.

- يا بنتي وأخرة العند دا ايه بقا؟ كلميه.

- هو اتهبل مرة واحدة، شايفني عيلة صغيرة معاه! الأول اتحجج بموت بابا وبعدين فجأة يقرر إنه يقلل خروجاته ومكالماته وحساه بيبعد يا نور.

- يا حبيبتى يمكن عنده ظروف، كلميه بس.

- كرامتي اتهانت معاه بجد، هكلمه.

أقلب محتويات حقيتي بعشوائية في حركات أشبه بالأمواج، أُصوب لمسات يدي نحو الهاتف، رغم ذكري لكرامتي وإهانتها إلا أنني كنت أبحث باشتياق، انتظرت أن أظهر مضطرة لفعل ذلك رغم أنني كنت قد حاولت الاتصال به عشرات المرات، جميعها غير متاح، لكن كرامتي أتاحت الفرصة لقلبي أن يفعلها كثيراً لعله يرد يؤنصت لشغفي.

-ها؟

-مقفول، معلش ممكن تجيبى موبايلك.

-موبايلي أنا! خدي بس ليه؟

أنقر أرقامه على هاتفها بدقة، تعتصمني الشكوك وأشعر بارتطام قادم لمشاعري سيلوح بي.

-بتعملي ايه؟

-ألو.

أغلقت الهاتف بعد سماع صوتها وانشغلت في تدبير طريق لدموعي كي تنصب نحوه، كيف سأبرر ذلك كله لقلبي.

-حاططني في الريجكت ليست (reject list)!

-طب وماجد هيعمل معاكي انتِ كده!! طب ليه؟

-.....

-هاتي أكلمه أنا.

-لا لا كفاية كده، سببيه براحتة هو عايز كدهو أنا مش هجبره على حاجة.

أخبرتها تلك الكلمات من وراء حواجز النفسية وقد جاوزتها، وددت لو أنها نزعت مني الهاتف بعنف وأقدمت على مهاجمته دون إذني، لم أرد وأراد قلبي، أشعر أني بلا شعور وبلا حواس، أنظر إلى السحاب المتعاقب في أعاليه، أتمنى السكون بجواره كي أنظر لكل هؤلاء البشر في حين واحد وأشعر بمدى ضعفهم وأنا خدعة وهراء، نحتفظ بذكرى من سبقونا لا هم قد أثروا ولن

يؤثروا، ذلك لأننا عبث، فعبث يسلم عبثفلم التأثير وحدودنا الأرض، وإذا وعينا جيداً لتلك الحقيقة لعرفنا أننا نقطة في فضاء وأني قطرة في هذا السحاب.

انقضت الساعات بثقلها المعتاد بسرعة في تلك المرة، أحرك أطرافي نحو بداية يومي في حركات ملكها الهبوط والتخامل.

- أتأكدي إن الباب اتقفل، الاسكريبت يا بنتي.

- وطي صوتك خلاص.

أنظر وقد غطت أعيني بألوان بنفسجية داكنة، تلك النظارات قد اشتراها لي، تعودت ارتدائها حتى مع غياب أشعة الشمس المعاكسة لنظراتي، أبحث عنه في كل مكان، أريد أن أراه كي أخاصمه وأراه يحاول مصالحتي وأرفض، سيتصل بي وحينها سأتكلف الكبرياء رغم تخديره بواسطة الاشتياق، سأرد في المرة الثالثة أو الرابعة، سينتهي الأمر حتماً بدعوة على العشاء، لكن أين هو! أحدق ولكن لا جدوى في ذلك.

- هنبقى فين؟

- ٤١٩ دكتور سامية هي اللي هتَشرف.

-

- سم سم، فينك يا بنتي؟ مالك كده حساكي خايقة؟

- هو ماجد مجاش؟

- لأ جى، دا كان هنا، سلم علينا وكان ماشي، قال إنه هيغيب عن الجامعة فترة.

-ايه دا ليه؟

-احنا اللي المفروض نسألك!

-يلا يلا.

توجهت نحو منصة التدريب أحاول أن أدعي عدم المبالاة وأمسك بأوراقى أقرأ بذهني، صراعات أفكارى، هل بسهولة قرر التخلي، البعد والمضي نحو رحيل لا عودة فيه؟ أكل ذلك بدون إبداء أسباب تشفع له عند قلبي المريض بأذى حبه؟

-انتي مش مدربة كويس يا سمر.

-ليه بس يا دكتور.

-دي تالت مرة تغلطي ومش مركزة ومكشرة، وحركات عينك غلط خالص، لأ كده مش هينفع.

-معلش فرصة كمان.

-آسفة، خدتي فرصتك خلاص.

لم أعني بذلك وإن بدا ذلك، خرجت من الغرفة أحاول استجماع شتاتي، وجهتي متحيرة ما بين انتظار نور فتخرج وتسألني عن حوارى مع نهى، ولم رحل ماجد أو اختار طريقاً شقاءً وليه ما بمهاترات الخجل. بوضع النظارات أبدأ مشواراً لم أقرره بعد لكن خطواتي قد اختارت إلى أين المضي.

أشير بطرف إصبعي لعربة الأجرة.

-مستشفى مصر لوسمحت.

كانت ليلة أمس مليئة بالمفاجآت المدوية والنزاعات، بدأها عمي بشجار توقعته ولم أتوقع مفعوله، لم أتصور أنه سيقبل على معاقبتها أمامي بهذه الصورة المجردة من التفاهم والرقى، لقد تجسدت حكايات سماح أمامي عن خلافاتها مع أسرتها المعقدة وأحسست أني مسببة الألم لفاقدة الرفق، شعرت أني شاركت في قتلها بأن شجعتها على الخروج معي دون إذنهم، يحيطني شرود التفكير والترقب لما هو قادم، ويزيدني التفكير بليلة أمس حزناً وتساؤلاً.

●●●●●●●●●●

●●٢٧●● أكتوبر ٢٠٠٩●●

11_46 pm

تبيست خلف الجدران بعد أن أخبرني الطبيب بسوء حالتها، تردد موقفي في إخبار الأسرة بهذه الأخبار التعيسة، تنتزعي في خلفي تفكيري أصوات عمي يُحدث زوجته، لفتني شكل عمي المتكلف في الحديث كأنه يحاول أن يُخفي حديثه عن السامعين.

-انتي مبتفهميش يا ولية؟ شغلي نفوخك.

-أشغله على ايه ياخويا؟

-أنا خُفت يجول جدام البت سمر إن سماح مش بت، ويسأل فين جوزها ونجوله ع المصيبة اللي حصلت لها في البلد.

-داهية تاخدها جابتلنا العار والكافية.

ما إن سمعت اسمي ينقش في كلماتها وقعت عيني على لمحات سماح لي وهي تغمض جفونها وجدت نفسي أقف أمامهم، ذابلة، أنظر لهم بذهول، بادلوه بصرع وخوف ظهر لأول مرة في عيون ذاك الرجل، لم أشعر بحديثي، بل تركت لساني يبوح بما أراد عقلي معرفته.

-هي سماح متجوزة يا عمي وأنا معرفش؟

- احنا مكناش بنتكلم على سما....

قاطعته بصوت حاد التساؤل:

- أنا واقفة من بدري على فكرة، ما يا إما هي متجوزة يا إما اللي أنا حاسة بيه من ساعة ما جيتو حصل.

قاطعني بطريقة تحدث تشبه لقيطات اللسان.

- وهوايه اللي انتي حاسه يا سمر إن شاء الله؟

- إن في حد... إن سماح حد اغتصبها.

أحسست بوجود الممرضة خلفي وأن صوتي قد ارتفع، وأن عمي سيهم لقتلي بعد أن اخبرته سره، سكوتهم الملازم لدهولهم أقر لي بصدق اعتقادي.

- اطلعي بره يا بنتي دلوقتي لما نحتاجك هندهلك، اه يا سمر، اللي حاساه حصل، في واحد عمل كدهوه في سماحواحنا في البلد، وجينا هنا أهوه عشان نتدارى من عارها اللي جابتهولنا.

وأكملت زينب حديث عمي:

-مش دا اللي عايزة تعرفيه منها من ساعة ما جينا على دارك، ارتاحي أدكي عرفتو اتفضحنا وسيرتنا هتبجي على كل لسان ياختي.

-بطلي ولولة يا ولية منحصش، واحنا يا بنتي هنشوفلنا مطرح تاني نعيش فيه، واحنا تجلنا عليك الكام يوم دولاً.

كل ذلك وأنا أشاهد انتقال المشاهد بينهما، لم أصدق المشهد الأول حتى الآن.

-ربنا يسامحك هو أنا هشمت فيكم؟! سماح دي أختي، اللي يحصلها كأن حاصلني، وربنا العالم حزني عليها قد ايه، ومهما قلتوا مش هسيبها في موقف زي ده.

-متزعلش مني يا بنتي، الهموم عماله تشرح وتغرب بيا، أنا عارف إنك بتحبها وبتعزيها.

-طب ليه معرفتونيش؟ لازم نجيب حقها من الكلب اللي عمل كده.

-يوه يوه شوف بتجول ايه نجول طور تجول احلبوه، بنجولك منحصناش فضايح.

امتنعت عن الرد لصعوبة التفكير وقد اختزلت أساس النقاش في نظرة إلى سماح، أريد أن أحمل عنها بعض همومها وأتمنى لو أعرف كيف استطاعت أن تتحمل هجر حبيبها وقهر ذاتها من تلك الأسرة، هذا اللعين الذي حرّمها عذريتها، تكالب عليها اللئام وناوبوا التكالب. وانقضت الليلة برفض عمي أن أجاورهم سريراً لعلمه بأني سأستيقظ مبكراً لقضاء يوم جامعي، أنا أيضاً أردت أن أرحل حتى ألتفتع بمياه ساخنة تمنحني برهة الاستيعاب.

●● ٢٨ أكتوبر ٢٠٠٩ ●●

1_00 pm

انتهي بي الطريق أمام المشفى أرتب أفكاري وأولويات قدومي، أنشغل بالتفكير في أمور عدة سأنفذها على حسب متطلبات شعوري، وفي ضجة أثارت فضولي.

-حرام، طب خدوها واكتبوا عليا أقساط ولا أي حاجة دلوقتي هتموت، حرام عليكم.

-لوسمحت مش عايزين شوشرة هنا يا مدام عشان المرضى.

-وبنتي اللي بتموت؟ يا ظلمة يا كفرة، البت هتموت مني يا ناس.

وقفت أشاهد هذه الدراما السوداء من بعيد، تلك المرأة على حافة أن تفقد نبتتها البريئة لأنها لا تملك نقوداً لا قيمة لها سوى إسعاد البشر، وأي بشر تُسعد وهي تُسهم الآن في قتل تلك الطفلة المسكينة، تمنيت أن أذهب وأقف معها وأساعدتها وأطالب بحقها في العيش، لكني لا أعرف لم أريد بدني الوقوف يشاهد بعينين متخاذلتين أشد التخاذل، أراها تبكي وقد تذكرت أمي وسماح، لا أعرف ما المناسبة التي جمعتهما في عقلي فأمي تشبه هذه الأم في حبها لطفلتها، وسماح تشبه براءة الصغيرة، وبغرار ذكرى سماح انطلقت نحو داخل هذا المشفى، أردت أن أعرف جديد الأمور فقد كنت أحاول الاتصال عدة مرات على هاتف عمي، وكعادته لا يجيد الرد أولاً يسمع نغمة هاتفه المنخفضة أولاً يريد أن يسمعها، وتوجهت نحو غرفة طبيب سماح.

-ازيك يا دكتور، فاكرنى؟

-اتفضلي اقعدى، طبعاً هو أنا لحقت أنسى.

-دكتور الشكوك اللي كانت عندك امبارح بخصوص سماح، قدرت تتحقق منها؟

-انتي لسه معرفتيش حالتها؟

-لأ أنا لسه جاية من برا على حضرتك على طول، سماح مالها؟

-للأسف يا أستاذة سمر، آسف إنى أبلغك إن سماح دخلت في غيبوبة.

-.....

-أنا عارف إنها صدمة ليكييس إحنا بنحاول نعرف السببوهنقوم بالتحاليل اللازمة، بس لما حالتها تسمع.

-مممكن أزورها؟

-مممكن بس خمس دقائق بس، وعلى فكرة أهلها عملوا مشاكل كبيرة معانا لرفضهم الخروج من أوضة المريضة، احنا اضطرينا إننا نخليها بعد ما تأكدنا إنها بتمر بغيبوبة فعلاً، وللأسف حالتها سيئة جداً.

-ماشى، أنا هروحلها.

أخذت أنسحب من المشهد نحوآخر، تنهمر الدموع لا أعرف لماذا، أحزناً على هذه المريضة التي فقدت صحتها أم على جهل أسرتها الذي سبب لها ألماً تشعر به في كل آنأم على هذا الأبله الذي تركني في ظروفى الكاحلة لقسوتها وسوادها القاتم؟ أحتاج وقفته بجانبى وأفتقدتها، وقد كان رده بالانسحاب مفاجئاً.

أسمع هاتفني يطلق ناقوسه لكن عليّ أن أسرع نحو غرفة سماح، أغلقت الهاتف واستكملت طريقوقد لمحت اسم صديقتي نور على شاشة الهاتف.

-ازيك يا عمي، سماح عاملة ايه دلوقتي.

-سماح بتموت يا بنتي، الدكاترة جالوا دخلت فغيوبة ومنعنا نشوفها.

-أنا عرفت من الدكتور وهوسمحلي أشوفها خمس دقائق بس.

-يبجي هخش وياكي.

-طب هحاول، لوسمحتي يا آنسة ممكن أدخل؟

-الدكتور مانع الزيارة.

-هوسمحلي بخمس دقائق.

-يبقى حضرتك اللي هتدخلني بس.

-وآني هخش يعني هخش.

-خلاص يا عمي عشان خاطري سييني أشوفها، وأهويبقى حد اطمئن عليها.

أمسكت بمقبض الغرفة دون انتظار لرد منه، أدخل بخطى رقيقة كأنما هي نائمة، ولوعقلت تلك اللحظة لمألت الغرفة بالضوضاء أملاً في إيقاظها، نظرت إليها وفجأة أردت أن احتضنها بشدة، مغلوبة على أمرها، ليتني أتسلل إلى عقلها لأعلم ما تفكر به، كما تمنيت أن تسمعني.

- إن شاء الله هتخفي يا سماحوهنجبلك حقك، والله مش هسيب حقك أبداً، ليه مقولتليش؟ يا رب تقومي بالسلامة عشان تشوفي الكلب دا بيتعدم، أيوه هيتعدم إن شاء الله، ربنا يشفيكي يا حبيبتى.

- الزيارة انتهت، لوسمحتي يا آنسة اتفضلي بره.

دون مقاومة خرجت وقد قبلتها على جبينها، أتمنى أن تشفى وترد لي تلك القبلة، كنت قد عنيت ما أخبرتها وأنيأود الانتقام لها حقاً، ولكني لا أعرف من أين سأجذب خيط تلك الجريمة.

-ها، عاملة ايه؟

-كويسة يا مرات عمي كويسة. أُمال هوعمي راح فين؟

-بيدخن سيجارة برا في آخر الطُرْجة.

-عن إذنك هروحله.

-إذنك معاكي ياختي.

طفت عليها روح الأمومة رغم شكوكي الكثيرة بشأن ذلك، أشحتُ النظر ناحية أركان الغرفة وسط تحركاتيوقد وجدت عمي.

-يا حاج، ممكن أتكلم معاك في موضوع مهم؟

-جولي يا سمر.

-أنا عايزة أعرف احنا هنعمل ايه في موضوع سماح والحيوان اللي عمل معاها كده.

-شششششش، وطى حسك الناس تسمعك، أنا جولتك امبارح الموضوع دهوه ميتحكيش فيه

تاني، الموضوع خلص خلاص، أنا اللي غلطت، غلطت إني سبت بنتي تدور على حل شعرها، كل حبتين تجول راحية لناهد وجاية من ناهد، مبعجش تعملنا اعتبار.

-وهي ذنبها إنها بتخرج تروح تشوف صاحبته! يعني هنسيب اللي عمل فيها كده ونمسك فيها هي؟ دا اسمه عدل!!!

-يابنتي أنا منجصش فضايح، أنا راجل كبير وعيب على سني.

لم أستطيع أن أدفع المزيد من النقاش، ذلك لأن سفاهة التفكير متأصلة بين جنبات عقله الصلد، لكن واجبي نحو سماح أعطاني أملاً بوجود جانب في عقله لم يصله عفن التفكير.

-طب انتوعرفتوا مين اللي عمل كده؟

.....-

-مين ياعمي؟ حد أنا أعرفه؟

-لأ يابنتي دا واحد من البلد متعرفيهوش.

اكتشفت أنني لم أغلق الهاتف ذلك عندما سمعت صوت رنينه.

-عن إذنك يا عمي هرد ع الموبايل.

-إذذك معاكي يا بنتي .

-أيوه يا نورفي المستشفى، مش عايزة أسمع سيرته. طب عدي عليا مستشفى مصر هنزلك، باي.

-ها يا عمي كامل.

-منا جولت اللي عندي.

-طب انتوعرفتواللي عمل كده أصلاً؟

كنت قد كررت هذا السؤال للمرة الثانية أملاً في أن يحد من التهرب.

-واحد من صحاب أحمد.

-عشان كده أحمد مجاش معاكم؟

-أنا ضربته لأول مرة فحياتي، مكنتش مصدج روحي، طحت فيهم هما الاتنين، بس تعرفي يا سمر أحمد دا كنت بعتبره سندي واللي ليا في الدنيا، مكنتش بزعله أبداً ولا كنت بخلي نفسه في حاجة، ويوم ما مديت ايدي عليه، زجني في الأرض، وجعت ووجعت السما فوج راسي، حسيت إنني مخلفتش ولا رييتوتمنيت أموت.

تأثرت بدموع لم هُز على وجنيته بل سمعتها في حديثه وأحسست بكسر خاطره، وبعدهما تذكرت أحاديث سماح لي، انحسر هذا التأثير وقبع في نقطة سوداء بعيدة عن موطن شعوري وأحاسيسي.

-متزعلش يا حاج أكيد مكانش يقصد.

-أنا مش زعلان منه، أنا عايزه يرجع.

-هوراح فين؟

-ساب البيت ومعرفش ليه مطرح.

-ربنا يسهل ونوصله، معلش يا عمي أنا هسيبكعشان صاحتي مستنية تحتوهاجي أشوف سماح

بليل، عن إذنك.

-إذنك معاكي.

تركته ليكمل ما تبقى له من أعقاب سجائره، تختلف وسائل الراحة من شخص آخر. أتجه

نحوسيارتها يكمن بداخلي شعور أني أعاقب نفسي في البعد عن خليلي ورفيقي، ماذا ستقول

وبماذا سيحبب قلبي.

-جيتي بسرعة يعني!

-لإن الكلام اللي عندي ميستنش.

-خير؟

-أنا روحت لماجد كان بيحضر شنطته لإنه هيسافر إسكندرية وعمل وقف قيد السنة دي من

الكلية.

-إزاي؟ ماله المجنون دا وقف قيد ايه وهيرجع إسكندرية ليه؟ أهله حصلهم حاجة

-أنا مكنتش ناوية أقولك بس استقرت على إنك لازم تعرفي، ماجد عنده ورم خبيث في الرئة في

المرحلة الثانية، لازم تقنعيه يا سمر إنه يقعد، ماجد مينفعش يمشي ويسيينا.

●●● ٨ أكتوبر ٢٠٠٧ ●●●

11_06 am

-شكلك مختلف النهار ده يا سمر!

-مختلف إزاي يا بابا ههههه.

-متشبكة وبتضحكي وبتجري بسرعة، في حاجة ولا ايه؟

-شكلك مش مبسوط إني فرحانة.

-لا إزاي بقى! يارب تكوني مبسوفة دايماً يا حبيبة قلب بابا.

قَبَلَنِي أَبِي قَبْلَةَ أَغْمَضَتْ لَهَا جَفُونِي لِقَرَبِهَا لِقَلْبِي، هَكَذَا كَانَ مُسْتَهْلَ أَحْدَاثِ يَوْمِ مَلِيءِ بَزْحَمِ الْحَدِيثِ وَالدراسة والتأهب اختبار مميز في يوم دراسي هوأكثر تميزاً بين باقي الأيام الدراسية السابقة؛ فبعد أن مرت أياموشهور عديدة على الاحتفاظ بسر كنت قد سئمت من الاحتفاظ به أتت الرياح كما اشتهدت سفني، فلقد تحركت شفاه الصنم وقد ظننته كذلك، أخبرتني نور صديقتي أن هناك شخص يريد أن يتحدث معي بشأن إعجابه بي منذ فترة طويلة.

كثيراً ما تعرضت لمواقف مثل تلك لكن هذا الموقف يختلف عن سابقه، فهذا الشاب هو ماجد، يدق قلبي عند تذكره، كثيراً ما يقع الشباب بحب فتاة وأخريات، لكن قلب الفتاة لا

يضخ دمه سوى لرفيق واحد، رفيق الحب الصادق، وكان رفيق حبي هو ماجد. أخبرتني أنه سيخبرني اليوم بما يدور في قلبه ناحيتي، لذا سيكون اليوم مميزاً.

-أنا نازلة يا بابا، باي.

-باي يا حبيبتي، متأخريش.

انطلقت وكلي حماس أقفز من فوق سلالم الدرج بسرعة كبيرة كأني أريد سبق الأحداث لأصل إلى جامعتي، ومنها إلى ماجد، أكملت طريقي حتى وصلت إلى منزل صديقتي نور وبمساعدة القدر وجدتها أمامي.

-سبحان الله في أمرك.

-مالك يا نور؟

-شوفي يا شيخة بقالنا سنتين أهوه صحابوعمرك ما عديتي عليا يعني!

-عادي، صحيت بدري شوية قولت أعدي عليكي، أنا غلطانة.

-اه صحيتي بدري، وايه الشياكة دي ههههههه، قلبك هيقف.

-وقلبي ماله بالموضوع!

-والله!

ذكرتني بجدتي في تلك اللحظة حينها لم أخفِ احمرار وجنتي وبريق اللمعان الغالب على عيني، أردت أن أتساءل هل من جديد بشأن ماجد؟ ومع ذلك لم أخبرها لكن ردها على تساؤلاتي كان أسرع.

-متقلقيش، هو قالي مقولكيش إنه هيكلمك انهاردة، هيطلب منك كلمة على جنب وهيقولك إنه معجب بيكي، ده لومغيرش الكلام اللي قالهولي.
-مش بفكر في الموضوع ده، عايزة أركز في الامتحان.
-لا والله! طيب لما نشوف ههههههههه، مكونتش أعرف إنك بتحببه أوي كده.
-انت اتهبلي يا بنتي؟ أحب مين! مش بفكر في الموضوع ده وباريت كفاية كلام فيه.

لم أردّها أن توقف حديثها بل أردتها أن تخبرني أكثر فأكثر عنه، لكن صراع كبريائي جعلني أقوم بما لا يشتهيّه قلبي.

-خلاص أنا غلطانة.

وصلنا إلى الجامعة ومر الوقت، لم تفتح نور نقاشاً لهذا الموضوع من جديد وانتهى الاختبار ولم أبل بلاءً حسناً بل لا أكاد أتذكر ما كتبه قلبي قبل دقائق.

-سمر مش هنروح بقى!

-ماشى، أنا بس كنت قايلة لسارة تعدي علينا.

- طب ما نُرحلها احنا، أنا زهقت من الكلية هنا.

- لسه هنُرحلها! ما نستنى هي زمانها جاية.

- يا بنتي طب جنبنا هنا مش مشوار يعني.

- خلاص يلا نروح أحسن وهكلم سارة أقولها متجيش، أنا زهقت أصلاً.

كان وجهي المشرق في بدايات يومي قد تحول إلى العبوس، لم أجد ما انتظرت فمللت الانتظار وهانت نفسي كثيراً على قلبي.

- ازيك يا نور؟

- ماجد، ازيك؟

استدرت عندما سمعت نطق اسمه، عاد وجهي إلى الإشراق من جديد واتسعت عيناى من المفاجأة، وانتظرت أن يحيني.

- ازيك انتِ سمر مش كده؟

- اه، ازيك يا ماجد.

- أنا كويس الحمد لله، انتأخبارك ايه؟

- أنا بخير الحمد لله.

تداركت نور أنها تقف حائلاً بيننا في مرحلة هامة من حياة كل منا، فكان عليها أن تقوم بما برعت فيه دائماً.

- طيبي سارة بترن علياً هروح أجيبها من برهوارجعلكم.

لم يرد أحد على ما قالت وقد فهمنا أنه مشهد من الأفلام الرمادية القديمة.

- اقعدي نتكلم شوية.

- آسفة ورايا حاجات كثير، مش عايزة أتأخر على بابا!

- طيب ممكن أوصلك للبيتونتكلم في الطريق؟

- آسفة بس أنا مش متعودة إن حد غريب يوصلني.

بدا جاداً في هذه المرة.

- على فكرة نور كلمتني وقالتلي إنها عرفتك إني هكلمك انهاردة، وكمان هي اللي قالتلي آجي دلوقتيفبلاش نضحك على بعض.

نظرت إليه ثم غادرت وقتما تملكني الخجل وظهرت آثاره.

-استني، استني، أنا آسف مقصدتش حاجة والله، آنسة سمر أنا معجب بيكي من فترة طويلة واستنيت فرصة عشان أقولكبس كنت ببقى خايف.

ابتسمت شفاه قلبي لكني لم أخبره بذلك وتابعت السير، حينها اتسع حيز صوته.

-تعرفي أنا عارف إنك معجبة بيا وواثق من ده، بس أنا أشجع منك عشان قُلتك اللي جواياوانت لسه مكسوفة تقولي!

حينها استدرت له مجدداً.

-حد قالك قبل كده إنك جريء زيادة عن اللزوم، وأسلوبك مش محترم! أنا آسفة.

كان هذا لقاءنا الأول، بحجم الخجل المختبئ خلفه كان حجم الأسف، ولكننا نجحنا في التغلب على الخجل والأسف وما شابهم على أمل أن تمر الايام لتُكسر قصة حب صادقة لم تجمعها الصدفة.

●●● ٢٨ أكتوبر ٢٠٠٩ ●●●

3_40 pm

أتذكر يوم قال لي أحبك ويوم قلتها له بطريقة سريعة وقد طلب مني أن أعيدها، ليس لأنه لم يسمع بل لأنها تبادل دفاء قلوبنا، كنت قد سردت له بعضاً من قصص سماح وقد قال لي بأن منزلتها ستكون الجنة لتحملها كل ذلك، أكد لي أن القدر قد اختارها ليظلمها ولم يعرف أن القدر بادلته ظنونه بشأن سماح.

-هتطلي لوحدك؟

-اه.

أحفظ أرجوانية حائط الدرج، تبعث على عيني السرور لكنني أخشى أن تكون هذه المرة هي الأخيرة أن أصعد هذا السلم وأن أراه، على أية حاللم أصدق كلماتي الأخيرة. أضغط زر جرس منزله، أنتظر وأحترق وهاهويفتح على عجلة.

-كنت مستني حد ولا ايه؟

-ازيك يا سمر؟ آه البواب، عشان يشيل معايا حاجاتي عشان راجع إسكندرية.

-نور قالتلي كل حاجة.

-.....

رأيت لأول مرة دموع طفلة صغيرة تجري في عينيه التي لا تملك من أمرها سوى البكاء، أقدر الآن ما يود أن يخبرني ولا يستطيع، حتى تقديري لكلماته لن يوفيه حقه، غمرني وغمرته بحضن احتواء، فموضعنا الطبيعي هنا كلهم نعتد على فعل ذلك، كانت أول مرة، شعرته طفليبيكي ويسمع قلبي نحبيه، أشعر أنه لا يملك أن يفعل شيئاً وسط ظلام المستقبل. لم نشعر بأنفسنا إلا وصوت حارس العقار يبعثني عن دفة ألفتة.

- طلبتني يا أستاذ ماجد؟

- اه اه يا محمد، كنت عايزك تدل أختي على الشقة بس هي طلعت عارفاها أهوه.

- نورتي يا ست هانم، أصلي لسه جديد ع العمارة ومعرفش ناسها.

- لا مفيش حاجة عادي، شكراً.

أغلقتنا باب دارٍ كان من المفترض أن يجمعنا بحلته الجديدة ونحن أزواج، نقدر السعادة أن تكون مستقبلنا ولا تقدر لنا، رأيت ألوان السواد والحزن تكسو جدران المنزل، ملاءه سواد ظلال التعيم، يعرف كل منا بما نود التحدث ونهرب من الحديث، ونعرف أن لا بد من الهروب.

- ليه مقولتليش لما عرفت من الدكتور؟

- عايزاني أقولك ايه؟ أقولك اصرفي نظر عن جوازنا وانسي اللي بينا والكلام ده؟

- وليه تقول كده؟

وعدنا إلى احتواء بعضنا البعض، تابعته يستلقي على الأرض يشعر أنه يريد النوم ولوللحظة في يوم قبل أن يخبر بهذا الخبر الذي بهت على حياته بألوان التعاسة والتشاؤم.

-أنا شايقة إن فكرة وقف القيد دي غلط، إنت ممكن تتابع علاجك هنا ومش لازم تروح إسكندرية.

-أنا مكنتش هقدر أروح الكلية وأنا بتعالج، مش هستحمل كلام حد حتى لوشفقة.

- مقدره شعورك، وعايضة أقولك إني مستحيل أسيبك حتى لو انت عايز كده.

-يا سمر أنا هموت، مش هينفع أتجوز عشان مخلفش عيل يتيتم وهو عنده سنة ولا سنتين.

-ومين قالك إني عايضة أخلف! أنا عايزاك انت، لو بتحبني بجد متستكترش عليا أبقي آخر واحدة في حياتك.

عجز عن الرد وأكملت عينانا النحيب، واستلقيت بجواره أضع رأسي على الأريكة، أغمض عينيهاوتابع النوم، لا أشعر به وإن قلت له ذلك، فلا يشعر بالإنسان غير ذاته، لكن فكرة الموت في محض العموم لفكرة جيدة على أي حال، جيدة لمن سيموت ويذهب إلى مكان لا نعلمه، لكن الموت الحقيقي لمن يقربون هذا الشخص، هم من يرتدون أسود الشياب وينهمك عقلهم في ذكرى قد ولت ويمتلى قلبهم بدموع الرثاء.

ردني صوت الهاتف إلى وعيي، أنواره واهتزازه أجبروني على الإسراع لإسكاته.

-ايوه يا نور، روحي انتي عشان لسه هقععد مع ماجد شوية، ماشي، سلام.

-قومي روجي يا بنتي عشان ألحق ألم حاجتي.

-بص، أنا مش عايزة أعيد كلامي تاني، انت هتعالج هنا وهتكمل دراستك وأنا هفضل جنبك مهما حصل.

-انتي متعرفيش حاجة يا سمر، متقدريش تستحملي حاجة زي كده وأنا مقدرش أخليكي تتعذبي.

-كفاية الكلام دا أرجوك، أنا مش هسيبك.

-وأنا مش هسمحلك بـدا.

صوت صرخته في وجهي أزالته غشاء الحب لوهلة، فتركته خلفي ونسيت ما حل به ورحلت عن عالمه وغادرت، انتظرت أن أسمع نداءه لكن ذلك لم يحدث.

.....

●● ٢٨ أكتوبر ٢٠٠٩ ●●

4_46 p.m

وبعد شراء رقائق تمنحني طاقة لاستكمال طريقي ذهبت من جديد إلى مستشفى سماحولم أكن أمتلك الطاقة النفسية للذهاب لأي مكان، لكنني وجدت لأول مرة منذ مجيئه رقم الحاج عوض وقد اتصل بي مسبقاً، كنت أفكر بأموري ووسط ذلك كنت متعجبة من شدة إجراءات عزل سماح عن أهلها فجأة، لم يطمئن قلبي لذلك وشعرت أنني سأستقبل مفاجأة جديدة.

ذهبت وقد وجدت باب غرفة الاستقبال المجاورة لغرفة سماح مفتوح، دخلت دون سابق إذن وقد وجدت الأم زينبتغوص في سبات بدا عميقاً، جلست جوارها أتأملها عن قرب، عجزت عن الإحساس بملامحها، فقط رأيت محفظتها موضوعة جانبها، تذكرت يوم أخبرتني سماح برغبتها الكبيرة في مهاتفة صديقتها ناهد وأنها تحججت بعدم امتلاكها رقم هاتفها الموجود بهذه المحفظة، راودتني فكرة وقد بدأت في تنفيذها؛ فتحت هذه المحفظة كأنها ليوأخذت أبحث عن ورقة بالية كما وصفت سماح فيما سبق.

وجدتها في إحدى الشايا مكتوب عليها (أم ناهد) بخط قد ذهب لونه الأسود وقد مال إلى درجة أقلل معاناً من هذا اللون، انهمكت في إخفاء معالم تطفلي وأعدت كل شيء كما كان، ذهبت

لأكمل مسيرة التطفل، وضعت يدي على مقبض غرفة سماح للانسلال دون أن يكشفني أحد،
لكن الغرفة مغلقة!

تعجبت من هذا الإجراء الغريبوتعجلت نحو غرفة الممرضات أتساءل:

-لوسمحتي يا آنسه، هي أوضة ٣٠٢ مقفولة ليه؟

انعدت ملامحها العابثة منذ قدومي، توقفت عن التشدق بتلك العلكة المتهالكة التي اكتفت من
تناول اللكمات على جنباتها، وبصوت خائف أدلت:

-دي تعليمات الدكتور، وبينني وبينك طقم الدكاترة كلهم إجو وعملوا اجتماع كمان بعد ما شافوها
يا عيني، مبيحصلش الكلام دا إلا لما يكون في مصيبة.

-طب الدكتور في أوضته دلوقتي؟

-والنبي ما أعرف، بس مش هيكون مشي، روحيله.

تداركت للحظات أنني أحادث ممرضة وقد نسيت ذلك لأسلوبها المتكلف وغمزاتها الغربية وسط
الحديث، لا أستطيع أن أستمع لمصائب من نوع جديد فقد تجرعت ما يكفي لأيام وسنين قادمة،
ومع ذلك ذهبت وكلي تماسك زائف على يقين من تلقي طامة.

- مساء ال... ايه يا عمي في ايه؟

هنا وجدت الطبيب يجلس على كرسي الزائرين على غير ما اعتاد واعتدت أنا، وعمي يقابله بكرسي آخر، شعرت بضعف عوض وتوتره من طريقة تدخينه التي تصيب الرائي بالتوتر الشديد.

- تعالي يا بنتي، شوفي المصيبة اللي حلت على نفوخنا.

- حصل ايه؟ ليه أوضتها مقفولة كده؟

- للأسف يا آنسة سمر، احنا عملنا تحاليل أكثر من مرة، وفي اشتباه بحالة ايدز متأخرة.

لم يحدث عند سماعي خبر مشابه لماجد، لكني وقعت على أرضية الحجرة ووقعت نظراتي الطبية، شعرت بضباب عمي والطبيب يقتربان كمخلوقات الأحلام الوهمية، لا أسمع سوى ذلك الصوت المكتوم، أصوات مختلطة خلفي، ضباب في كافة أنحاء الغرفة، سأصارع مرضين يؤديان إلى الموت حتماً، لا محالة، فمن الصعب انتظار النهاية ليقيننا بأنها قادمة قادمة، لكن في ذلك ألف نهاية وألف موت، وعذاب الموت يسبق الموت بدرجة ويتقدمه في منزلة الانتظار والألم.

- فوقي يا بنتي، لا حول ولا قوة إلا بالله.

- آنسة سمر، انتِ سمعاني؟ ياريت تحاولي تبصيلي.

تساندت وهممت لأخذ النظارة للعودة إلى العالم مرة أخرى بعد أن فقدته للحظات.

-قومي يا بنتي هو صلك.

من الممكن أن أقدر بأن القدر اختارني ليشاركني تلك اللحظات، ليتهم لم يأتوا، كنت سأسمع خبر مرضها على أية حال لكن الوضع مختلف، سماح صلبحت جزءاً ا يشكل ذكرى، رأيت على وجهها المرض وضيق نفسها ووجهها الشاحب دائماً، لكن القدر.. عبثة القدر وعشوائيته.. وما القدر بعشوائي.

ذهبت إلى المنزل بعد أن شاركني هذا العجوز طريقي، اطمأن لوجود طعام بالمنزل ولم يلبث أن غادر حتى شعرت بهول ذاك اليوم المميز بألوان الرماد، تنسال الدموع السوداء مختلطة سوادء بما تكحلت، وقد وضعت كحلها للزينة، لكن الزينة أبت المكوث جوارى، اختارت طريقاً لتذهب نحوه، تغادرني، لا أليق بها ولا تليق بي.

أغمضت جفوني لأضع لدموعها حد، راقني سكون النوم، ليتوقف الزمن، لأقترب أكثر فأكثر من الموت دون أن أشعر، ليمر الوقت بينما لا أمر أنا برفقته.



٢٨٠٠ أكتوبر ٢٠٠٩ ٠٠

9_42 pm

استيقظت على كابوس لا أتذكره كرمادية اليوم، وجدت نفسي خارج غرفتي، كل ذلك! نظرت إلى الهاتف الصامت لأجد العديد من المكالمات الفائتة، من بينها مكالمة لمأتوقعها وتمنيتها.

-ألو! ألو، يابنتي!

-أيوه يا ماجد مالك في حاجة؟

-بقي دا رد دا!

-انت فين؟

-ملطوع بقالي ساعة تحت البيت محروج أطلع، انزلي عشان عايزك.

-ماجد في حاجة؟

-عايز أقولك حاجة، يلا مستنيكي تحت أهوه، سلام.

لم يرد قلبي أن يعلم السبب، أراد الفرحة فقط في تلك الأثناء، وتذكرت نبأ مرض سماح فعاد من جديد لما كان عليه من بؤس. أحاول أن أتوقع تبريره وإنهاءه لعلاقتنا أو موافقته لعرضي وإن بدا ذلك الاحتمال ضئيلاً جداً، وضعت معطفي بعد أن أزلت آثار السواد حول عيني، أدلفت

نحوالدرج، رأيته في هيئته القديمة المبتسمة، عيناه الطفلة، وبالبراءة الطفولة، بادلته تحية اليد كما اعتدنا في صمت.

-مالك بقا هتفضلي زعلانة كده؟

-انت عايزني أفرح؟

-يا بنتي هنعمل ايه طيب، ربنا حكمته كده، الحمدلله إنها جت على قد كده.

لم أعرف إن كان هناك الأسوأ من ذلك لكن ما دار في عقلي في تلك اللحظة المنقضية ألا أخبره بما حدث لسماح.

-الحمدلله يا ماجد، بس إن شاء الله هتبقى زي الفل وأحسن من الأول.

-طيب بصي هو أنا فكرت في كلامك ومقدرش على زعلك.

-يعني؟

-هتعالج هنا، وهنا أفضل وكمان أنا مش عايز أمي تعرف، مليش غيرها ومقدرش أشوفها بتتحسر عليا.

-بس انت هتعالج وهتعامل عملية من غير ما يعرفوا؟

-أنا مبقتش صغير، ودا أحسن ليهم، هقولهم إني تعبت فجأة وعملت الزايدة.

-أكيد مامتك هتيجي تشوفك وهتضايق إنك معرفتهاش.

-تضايق إني معرفتهاش أحسن ما تعرف إني عندي سرطان يا سمر.

-.....

-أهم حاجة تيجي لما أخلص المستشفى وكل حاجة، مش عايزها تجيلي المستشفى عشان متعرفش.

-ياذن الله، وأنا هظبلك كل اللي هيفوتك من الكلية وهعمل.....

-لأ منا مش هلغي وقف القيد.

-ليه يا ماجد؟

-عشان مش عايز أضيع الفلوس اللي محوشها ع العلاج، لازم أشتغل وكمان أنا مش مركز السناديودي أهم سنة، مجرد ما تخلص النقاها هشتغل.

-يا ماجد فكر في موضوع الكلية تاني.

-أنا جاي انهاردة ومقرر كل حاجة، بتشتي يا سمر، ادعي ربنا يجمعني بيكي يا سمر، بحبك.

تركنا حديثنا جانباً لمشاركة قطرات المطر نزوحها من أعاليها، وقد مددت قلبي وبسطته، شعرت أني أدعولأول مرة أن يجمعنا الله في حياتنا قبل مماتنا، وبينما يهرول الجميع خوفاً من تلك القطرات نقف لنجمعها لنغتسل من آلامنا بنقاء تلك القطرات.

عُدت من جديد إلى طفلي محمود بالأعلى، كان قد أتى ليرافقني يومي في المنزل بعد أن أجهدهته نومة السرير الصلب بالمشفى، نظرت بأطراف النظر وقد وجدته لم يستفق بعد من نومته الطويلة، وقفت أشاهد حركة السيارة من النافذة وتذكرت تلك الورقة التي تحسستها بجيبي، أفكر لأتخذ قرأهمهما، أشعر أني سأجذب طرف الخيط الآن.

.....

●● ٢٩ أكتوبر ٢٠٠٩ ●●

9_45 AM

استيقظت ما بين الأحلام والكوابيس وأصوات عابثة في مكان ما بالمنزل، تلك الأصوات التي تجاهلتها آذاني في البداية سرعان ما أجبرتني على النهوض لمعرفة مصدرها.

-بتعمل ايه!

بصوت مرح داعبت هذا الصبي وقد نسيت وجوده بالأساس، وجدته يتسلل لسرقة الحلوى من الثلاجة، أعطيته إياها وبدأنا يومنا بطعام الإفطار الذي يفتقره وأفتقره أنا أيضاً منذ فترة طويلة.

-أومال انت بقى خلاص بقيت مبترووحش مدرسة؟

-من ساعة ما سماح عييت وأني محدش بيروحي المدرسة.

-أنا هبقى أوديك بكرا.

تذكرت سماح، لا أمتلك لها من واجب سوى أن آتي لها بحقٍ قد عجزت وعجز جسدها عن الإتيان به، فقد فقدت عذريتها كما تقبل على فقدان حياتها، ذلك بسبب هذا الخسيس من غرس أظافره العفنة بين طيبيها، فمثل هؤلاء لا يليق بهم الموت؛ فالموت لهم راحة. على أية حال قد

عوقبت على شيء لم تفعله، لكن الآن ما يهمني أن أمضي في طريقي كي أنهي تلك المأساة التي نسجها ذوبها، وأتمها هذا الذئب الذي لا أعرف اسمه حتى الآن، وفي النهاية حين أرى من فعل تلك النكراء بها ورقبته تتدلى من حبل المشنقة سأعرف أن حقها قد أتواني فعلت ما هو واجب.

-يلا يا محمود.

-جيت أهوه.

انطلقنا لطريق المشفى، لدي موعدان اليوم، بدايتهما سماح وثانيهما ماجد، وبرغم ما أخبرني إياه إلا أن ماجد مازال يمتلك الكثير بتلك الجعبة البارة في إخفاء بروزها.

-أما.

-ازيك يا مرات عميوازي سماح؟

-بخير يا حبيبي، والنبي ما أني عارفة قافلين عليها قافلة سودة وبيتودودوكل ما يجويخشولها.

في تلك اللحظة علمت أنها لم تعرف بما جد على سماح من المرض.

-عمي فين؟

-والنبي ما أعرف، هتلاقيه عند الدكتور أوبيدخن سيجارة فأني ركن.

كنت قد أخبرته فيما سبق برغبتني في معرفة هذا الذئب الذي سفك عذريتها لكنه يماطل، في تلك المرة سأحصل على إجابة حتمًا.

- ازي حضرتك يا دكتور ممكن أدخل؟

- اتفضلي يا آنسة سمر، شكلك أحسن انهاردة.

- الحمد لله على كل حال، أنا مش مصدقة اللي أنا فيه ده.

- ربنا يكون في عونك انتي وأهلها، مخبيش عليكى حالتها صعبة فعلاً ودا بي....

- سلامو عليكو، انتي هنا يا سمر؟

- اتفضل يا عمي.

- كويس إنك جيت يا حاج عشان أسألك كام سؤال.

- اتفضل اسأل يا دكتور.

- هي سماح عملت عملية قبل كده؟

- لا لا عمرها ما دخلت مستوصف ولا عملت عمليات.

- يعني عمرها ما نقلت دم؟ طب وهي بتخلع سنانها؟

- يا دكتور عمرها ما دخلت مستشفى.

- طب هي متجوزة على كده؟

حينها رأيت حمرة الفجأة قد ظهرت على ملامحه ككل، انعقدت جبهته ونظر نحوي، تلعث ثم تحدث:

- اه يا دكتور متجوزة.

- طب ممكن أشوف جوزها لو سمحت؟ أنا عايز أكشف عليه.

أتابع ذلك الرجل وهويلقي بأكاذيبه، أريد أن أسبق الزمن لأعرف كيف سينجح في عبور خطيئة كذبة.

- لا لا ماهوراح السعودية وبعدين طلجها، يقولومات داهية تجطع خبره لوعايش.

- لا حول ولا قوة إلا بالله، تعرف سبب الوفاة؟

- لا يا دكتور معرفش، وكل الأسئلة دي لزومها ايه؟

- ماهوطالما سماح معندهاش تلوث من الفيروس دا بسبب عمليات أونقل دم يبقى بسبب جوزها.

- معلش يا دكتور أنا فهمي على أدي!

- يعني يا حاج من غير كسوف كده، المرض اللي عند سماح بسبب العلاقات الجنسية مع جوزها

ودامن فترة عدت الخمس أوالسبع سنين كمان، الحالة اللي قدامي دي في مرحلة متأخرة يعني

الفيروس أخذ دورة كبيرة في جسمها.

نظر إلي يتصبب عرقاً، يمتلئ وجهه بالخذي، ليس لما قاله الطبيب لكن لأننا فقط من نعلم أن

سماح ليست متزوجة بل من المفترض عذريتها لولا الاغتصاب، لكن! مال هذا الطبيب يؤكد أنها

مريضة لكثرة علاقات دامت لأكثر من خمسة أعوام!

-عمي انت متأكد إنها معملتش عمليات حتى لو صغيرة أونقلت دم أو...
-خلاص يا سمر يابنتي قفلي على الموضوع دهوه، شكراً يا دكتور.

وضح لي أن الطيب فاجأ عمي أن سماح تحمل مرض فتاك، أدركت أنه لا يعلم عن المرض سوى القليل وأنه يأتي فقط لهؤلاء الفتيات اللاتي فرطن في عذريتهن على حد تفكيره الملوث بحجم المرض.

-عمي انت ليه قولته إن سماح متجوزة؟ ليه كدبت عليه؟
-عايزاني أجوله إنها بت بنوت يجوم يجول أومال اللي عندها دا من ايه، ويعرف إنها بجت بت بطالة؟

-سماح أشرف بنت في الدنيا متقولش عليها كده يا عمي.
-وطي حسك، كانت شريفة بس بعد ما فرطت في شرف أبوها وجابتلنا العار مبحثش بنتي خلاص.

-انت ليه بتعاقبها أكنها هي الجاني مش المجني عليه؟ دا بدل ما تساعدها!

-.....

-احنا لازم نعرف ليه قافلين عليها الأوضة بالمنظر ده، وكمان لازم أعرف دلوقتي مين اللي عمل كده فيها، أنا هعمل محضر وهجبلها حقها يعني هجبلها حقها.

-مش ناوية تجيبها لبر يا سمر! مش هتعرفي حاجة ومنتفتحيش سيرة الموضوع ده تاني.

لم أنصت إليه فقد غادرت هذا الطابوق ذهبت مجدداً للطبيب.

-دكتور أنا نسيت أسأل حضرتك أوضة سماح مقفولة ليه؟وليه الممرضات بيخشوكل فين وفيين؟
-آنسة سمر، انتي عرفتي إن حالة سماح ايدزودي حالة مش بتتكرر كل يوم،وبصراحة المستشفى
مش هتقدر تستحمل الحالة دي على طول، احنا مستنين إنها تفوق من الغيوبة وهنضطر نخلي
الغرفة.

-ليه هي مش مريضة من حقها تتعالج؟وغير كده انت مجاوبتش على سؤالي، ليه الأوضة مقفولة؟
-أنا قولت اللي عندي،أما بالنسبة للأوضة والممرضات فاحنا مبقتاش عارفين نقنع حد يخش
يديها جرعات العلاج، كله بقى بيخاف يخشلها.

وقفت بين كل ذلك الحديث الركيك أتعجب من ذاك الشخص الذي امتهن الطب لكنه لا يعرف
معنى وظيفته وأنها أساس الرحمة، وجدته فقط يزيد من آلامي وآلام الإنسانية بكلماته.

-وعلى فكرة أي مستشفى خايفة على سمعتها وعلى صحة المرضى التانيين هتقولك نفس
الكلام.

-أنا مش لاقية كلام أقوله! أنا ووالدتها مستعدين نديها العلاج ونراعيها بس سيوها تكمل
علاجها، أرجوك.

-طيب طالما كده هنعاول نمد شوية في فترة تواجدها هنا.

-شكراً يا دكتور.

لم أرد شكره بل أردت قتله في محضر من الناس، أصبحت مهمة إخبار زينب تقع في عاتقيحتي تتولى الإشراف على المهمة الصباحية، يجب أن أعلم الحاج عوض بأني سأخبر زوجته بهذا الأمر الجلل أولاً.

- ما هي لازم هتعرف يابنتي، جوليلها عشان تحس بالخيبة اللي بجيننا فيها.

ذهبت لأخبرها وقد تناسيت ما جئت من الأساس لأفعله، حق تلك المسكينة، شعرت في تلك اللحظة أن نقطة بدايتي خاطئة إلى حد ما، لا بد أن أجذب طرف الخيط من مكان آخر غير ذلك العجوز الصارم، يجب أن أجبره على الموافقة في إمهالي الحق لآتي بحق سماحوقد عرفت! لكن الآن مهمتي في تبليغ قاتم الأخبار.

- هي دي الحقيقة يا خالتي، سماح جالها المرض ده وهي دلوقتي محتاجة لمساعدتنا عشان نديها العلاج بدل الممرضات.

- يا مصيبيتي يا مصيبيتي، الفاجرة دنست راسنا في الطين، يا غلبك يا عوض، يا مراري الطافح.

- يا مرات عمي ايه الكلام ده! ده بدل ما نَقف جنبها! هي كان ذنبها ايه بس يا ربي!!

- ذنبها إنها دارت على حل شعرها، مشت ورا كلام البنات اللي ملوش عازة اللي بييجيب العار لصاحبه، وآدي النتيجة، يا مصيبيتي على حظيفي خلفتني السوداء.

على أية حال نجحت في إخبارها رغم سوء العقبات، وجدت هاتفني الصامت دائماً مكتظاً
بالإشعارات الفائتة، ماجد سيكون على موعد مع إجراء عملية استئصال عاجلة، لا عجب ولا
ضرار في ذلك لكن ما يشير تخوفاتي هو المستقبل البائس الذي ينتظره. أحتمي هذا القدر، تتسلل
معزوفة إلى آذاني أجهل مصدرها وعازفها، وما أنا أشعر بارتياح في وسط تلك الجلبة الشنيعة من
الأخبار الصادمة.



٠٠ ٢٩٠٠ أكتوبر ٢٠٠٩ ٠٠

3_22 pm

أستكمل قدح الصباح بنكهة أخرى بمكان آخر، يملأ عبير الزهور الاصطناعية طيات المكان، هدوء يعاكس خلفية الشجار بهذا الشارع المظل على نظراتي من زجاج هذا المكان الهادئ، أنتظر ماجد وما يحمله من أخبار عن موعد العملية الجراحية، ومع الوقت أشعر بحكمة الله في مرور الوقت والنسيان، لكن ما يحدث بي ليس نسيان بل تناسيفاً بتسامتي نادرة الظهور ومصطنعة إلى حد كبير، قاطعاً توترات أفكاري.

- أتأخرت عليكى معلىش.

- عملت ايه طمني؟

- الدكتور قال إنى لازم أعملها فى أقرب وقت ممكن، واتفقنا على يوم ١٧ نوفمبر.

- يعنى فى عملية؟

- انت بتهزري؟ أو مال أنا بتكلم فى ايه من الصبح!

كنت أعلم أن التدخل الجراحي سيكون، لكن دائماً ما وجدت النهايات السعيدة في القصص الرومانسية الصناعية، توقعت أن يخبرني بأن الطبيب قد أخطأ التشخيص وأنه سيعود لسابق العهد، وذلك لم يحدث.

-هتعملها في مستشفى ايه؟

-لسه الدكتور هيعرفني، بس كنت عايز أطلب منك طلب.

-ايه؟

-عايز أتقدملك وأخطبك قبل ما أعمل العملية.

كنت دائماً أتهرب من طلبه لكن لا مفر الآن، ولا مجال لكسر خاطره.

-ياااه، تعرف يا ماجد بابا كان دائماً يقولي وأنا صغيرة "انتِ فقيرة يا سمر من يومك" ههههه، كنت بضحك لما أسمع الجملة دي، بس أول مرة أحس بمعناها فعلاً، إن حتى في أحلى لحظات حياتي في تعاسة، أنا بحبك أوي يا ماجد.

لم أشعر بقدسية الكلمة في وقتها ولم أشعر بها.

-هههههه وأنا كمان بموت فيكي، بس أنا مؤمن إننا هنكون لبعض في يوم من الأيام، ها قولتي ايه على الطلب بتاعي؟

-هتطلبني من مين؟ عمي؟ سماح بنته في المستشفى وعيانة جداً وبين الحياة والموت.

-ليه مالها؟

وجدت أن الوقت المناسب لإخباره هو الآن، لا بد أن يعلم.

-عندها....

مقاطعاً حديثي:

-هتتغدي ايه؟ أنا هطلب فراخ.

-زيك.

-هاكملي، مالها؟

-دخلت في غيبوبة، وجالها ايدز.

برقت عيناه من شدة وقع الخبر المفاجئ ولم أتوقع رده المخزي، وقد طفى هذا الرد إحدى
نجمات حبه بداخلي.

-هي بنت عمك دي جالها المرض ازاي؟ فهميني عشان أنا متفاجئ بصراحة.

-قصدك ايه؟

-قصدي الاي انت فهماه.

-أنا بنت عمي أشرف بنت في الدنيا ومحترمة جداً ومسمحلكش تتكلم عليها كده، اتغدى لوحذك بقى.

-سمر بظلي هبل واقعدي.

-سلام.

تركته ولا أعرف لماذا طورت الحديث هكذا الكني شعرت أنه خدش كرامتي وشرفي أنا، ووجدتها فرصة جديدة للهروب.

5_00 Pm

وقد انتهى بي الطريق مجدداً في المنزل أتناول معلقة من تلك الأسماك التي لا تمت لشكل الأسماك بصلة، وقعت عيناى على ما أخرجت من حقيتي قبل قليل، تلك الورقة، أسرع لأغسل يداى وأمسكت بتلك الورقة التي بللتها قطراتى دون قصد، أنقر تلك الأرقام على هاتفي، أنتظر، أستجمع أفكارى وما سأحدث بشأنه.

جاهزة الآن إلى حد ما وقد ضغطت زر الاتصال، لا أحد يرد، الثانية فالثالثة ولا أحد يرد، ومع دقائق الرابعة وقد زال انتباهي وفقدت ما كنت قد استجمعت سمعت صوتاً ودار حديث.

-ألو مين؟

لم يكن الصوت الذي توقعته ولم أتوقع صوتاً، لكن بصفة عامة كان سيبدو أنثوياً، لكن من هذا الرجل!

-مين؟

-ممكن أكلم ناهد لوسمحت؟

-انتِ صاحبتها؟

-اه أنا صاحبتها.

-خدي اهي معاكي.

-أيوه مين معايا؟

-أنا سمر بنت عم سماح، فكراني؟

انتابها الصمت لبضع ثواني ثم عاودت.

-اه ازيك يا سمر؟ وازي سماح؟ معلش أخويا رد عليكي أصل رقمك غريب وأنا مش برد غير ع

الأرقام المتسجلة في الجايمة عندي.

-مش مشكلة حصل خير، أنا كويسة، بس سماح هي اللي مش كويسة.

-مالها سماح كفى الله الشر ياختي؟

-انتي لوحدك؟

-اه اه لوحدني جولي مالها؟

ترددت كثيراً هل أخبرها أم أراجع، هل ستأخذ الأمور بجدية أم ستشير التوتير أكثر؟

-سماح تعبت ونقلناها مستشفى.

-ليه حصلها ايه كفى الله الشر عنها!؟

-للأسف جالها مرض وحش.

-يلهوي سرطان! جالها سرطان؟

-لا لا وطي صوتك استني يا بنتي اسمعي.

-أومال جالها ايه؟

زاد التوتير وقررت أن أخبرها.

-جالها ايدز.

-يلهوي ياريتته كان سرطان.

مقاطعة إياها:

-أنا محتجاي، الكلام ده ملوش فائدة.

-أومري ياختي!

-أنا عايزاكي تقولي مين اللي عمل كده في سماح؟

-عمل ايه؟

-يعني هي مقاتلش ليكي يعني!! مين اللي اغتصب سماح؟

-.....

-ألو،ألوو.

انقطع الاتصال لسماعها هذا الخبر، ليس خبر مرض سماحبل خبر رغبتني في معرفة الجاني، خذلتنني مثلما خذلني الباقون، أود أن أقتلع أعين من سولت لهم نظراتهم بالشفقة في حق تلك البريئة من تهمة لم ترتكبها، لم تزني، لقد اغتصبت، كيف لي أن أوضح لهم أن مرضها ليس بعار، يوماً ما ستقف معي لتقتلعها وحدها بعدما تثبت براءتها أو أثبتها أنا.

وفي جانب آخر من عقلي أدرك أني قادمة على حافة هاوية تخشي قدماي الزلل، فقد انتابني شعور تنكره مشاعري عندما طلب مني ماجد أن نرتبط رسمياً، هل كانت مشاعري تكذب؟ وكيف ستكون العقبات؟ هل سأرضى بأن لا أصبح أم؟ من الممكن أن ما حدث مؤخراً معه جذب تفكيري نحوغرفة لم أقطنها من قبل من جنبات تفكيري، كل ذلك سيكلف عقلي الكثير، سيكلف فكريوسيساهم في أرقى ليال وليال.

مر الوقت سريعاً بينما أنا أفكر ما قد يحدث بعد ذلك، استلقت لأريح رأسي من كثرة همومها ومتاعبها، شعرت بالنعاس للحظات قبل أن يردني صوت الهاتف من جديد إلى الواقع، لمحت آخر ثلاثة أرقام لأجد ماجد قد حاول الاتصال بي مرتين، ألتقط هاتفني سريعاً لأجيبه.

-نعم!

-قوليهَا، انتِ كمان ايه؟

-بحبك.

-ههههههههه مش قولتلك!

-يا بارد، أنا غلطانة.

-ههههه فاضية نتمشى شوية؟

-ممممم، طب مش هنتأخر.

-ماشى أنا مستنيكي تحت.

-عشر دقائق وأكون عندك، باي.

-باي.

ما إن حدثني حتى نسيت همومي وأحزاني وما جدّ من أحزاني، أتجه للقائه وكل لقاء يشبه أول لقاء، نفس اللفهة والإقبال إن لم تكن أكثر وأغزر، تتسارع قدماي وقد زادت لهفتها عن باقي حواسي، رأيته يقف على زاوية الطريق ينظر للسيارات والمارة بينما أنا فضلت الوقوف لمشاهدته من بعيد فذلك أفضل، أستمتع بالنظر له دون أن يشعر، ملامحه الطبيعية غير المتكلفة تجبرني على عشقه، جعلتني أحب عشق الحبيب، في تلك اللحظة أخبر نفسي أنني لن أغضب منه أبداً وأن حبنا سيدوم مادامت الحياة، وتتحول الحياة إلى حب وعشق في عيوننا سويةً متناسبةً قسوة أيامي وحزنها.

أستطيع أن أتنفس رائحته رغم بعده عني، ولم يتحير قلبي قط 'وإن تحير' في حبه، لا أستطيع أن أفكر في حب يملأ هذا القلب سوى حبه المطعم بالبراءة والشجن. نفذت من جديد إلى واقع

الحياة أقبين أضواء مختلفة ما بين ضوء المصباح المتراقص وأنوار السيارات القادمة من كل اتجاه، وكان ماجد قد لاحظ أنني قد جئت للاحظ أيضاً أنني تبيست مكاني، عبر الطريق وأتى نحويينما أنا ذاهلة بابتسامة عشاق.

-مالك فيكي ايه؟

-مفيش مالي! منا كويسة أهوه.

-أومال واقفة مكانك وعمال أشاورلك وانتِ مش سمعاني!

-أه، آسفة معلش كنت سرحانة شوية.

-سرحانة؟ شكلك اتبهلتني خلاص هههههه، نروح نشرب حاجة؟

-لأ عايزة أتمشى شوية معاك، وحشتني.

-ههههههه ما احنا مع بعض من الصبح.

-انت واحشني وانت جنبي، وانت بتكلمني.

-مممكن أحضنك ولا هيبقى عيب؟

-ههههه أنا قولتلك قبل كده إني بحبك؟

-أه كثير.

-بحبك.

-بعشقتك.

بين حروف كلمة أحبك التي أخبره إياها تقع قصص وروايات عشق كثيرة أشعرها وأتذوقها عند قولني له "أحبك"، انتهى ذلك المشهد الملائكي بقبلة على جيني أشعرتني بثقل حبه وقد حملته

في قلبي ليتسع قلبي كل يوم باتساع فؤاده لحبي، تابعنا السير وسط ضوضاء الطريق نبحت عن متسع لحديثنا الهادئ.

-عايزة تحكي في حاجة معينة؟

-لأ، شوف لوعايز تتكلم معايا في حاجة.

-طيب، هو أنا كنت قولتلك إني عايز أرتبط بيكي رسمي قبل ما أدخل العمليات بس انت مردتيش عليا!

ظل عقلي يدبر أمره بشأن ذلك السؤال، كيف سأجيبه؟ وكيف سيتقبل رأيي؟ وماذا سيظن؟ غلبتني عقدة التفكير لأترك لجام الحديد والعنان للسانني يخبر ما أراد.

-أكيد انت فاجأتني بالموضوع ده وأنا فرحت أوي ربنا العالم والله، بس انت شايف إن الظروف مش سامحة أبدا.

-مممكن توضحي كلامك؟

-يعني مش هينفع أطلب من عمي مثلاً إنه يقف معايا في كتب كتاب ولا خطوبة وبنته بين الحيا والموت.

-أنا كده فهمت.

-فهمت ايه؟!!

حينها أدار وجهه ورفض النظر لي، جذبته من ذراعه.

-أنا بكلمك يا ماجد، رد.

-أنا مكانش لازم أطلب منك كده وأخرجك، المفروض كنت أفهم من الأول من ساعة ما انتِ مردتيشعليا! كان لازم أفهم.

أرفض قلبي طلبه كما ادعى؟! أخبرته أن ظنه ليس في محله لكني سارعت بالتفكير في الأمر، هل رفضت لظروف عمي أم رفضت لأسباب أخرى؟ تحيرت في قلبي ولم أعرف بماذا يفكر هذا الآثم، ما شعرت به فقط في تلك اللحظة أني صدمت مشاعر قلب برئ بحبي. نظرت له وقد أمسكت بأصابعه الدافئة لأخبره ما شعرت به في تلك اللحظة الحساسة لقلبي.

-ماجد أنا عمري ما هستغنى عنك.

.....-

-اعرف إنك حبي الأول والأخير وإن شاء الله تقوم بالسلامة وساعتها هنرتبط وتكون ساعتها كلالمشاكل اتحللت، مشاكلي ومشاكلك.

نظر لي وسط ابتسامته الدافئة، أمسك يدي ثم الأخرى، رفع يداي لأعلى رأسي لأشعر بقطرات المطر في يداي، وأبتسم لابتسامته التي ظلت تبهجني، استمر وجهه يبتسم وظل وجهي على نفس الهيئة بين قطرات المطر، تابعنا السير، أحاطني بذراعيه ليشعرنني أن أبي معي، شعرت أنه الفرحة والحزن، الحياة والموت، السرور والكآبة، شعرت أنه أنا.

تمنيت أنه لم يغادرني، تمنيت أن نرتفع نحو السماء عالياً نحو أفق يسع عشق الأحباء، كان ذلك اليوم هو الأخير بعمر حبي، لم أحب منذ ذلك اليوم كأن قلبي لم يظماً لحب بعدما ارتوت جنباته بقطرات مطر الليلة الأخيرة يفتقد قمر تلك الليلة، غادرني ماجد في هدوء، فمنذ ذلك اليوم الأخير لم يعد ماجد كما كان، غاب لأيام وكانت عودته بمثابة اختبار لقوة تحملي.

●●●●●●●●●●

●●● ٥ نوفمبر ٢٠٠٩ ●●●

2_00 pm

تلك هي الفترة الأطول منذ أن غادر ماجد عالمي
ولكنني تعودت على غيابه المعتاد مؤخرًا.

ما كان غريباً حقاً هو غياب صديقتي نورا ايضاً!
لم يخطر ببالي سوى أنها صدفة قريبة أو بعيدة لا يهم!
لكنها حتماً صدفة.

صوت هاتفي يطلق نغماته

-الووووو، نورا!! أنتِ بتهزري!! انتِ مخفية كل ده فين، حصلك حاجة.
كانت تنتظر أن أنتهي من كل اعتباراتي المتوقعة.

-اهدي، اهدي يا سمر، ازيك.

-ازبي!! أنا كويسة، انتِ اللي فين وعاملة ايه.

-أنا كويسة مفيش فيا حاجة، كنت عايزة أقابلك نتكلم شوية.

-نورا انت فيكي حاجة، حد عملك حاجة!؟

طنت كويسة!!

أنا جيتلك بس مكنتش بلاقيكي.

-لما هشوفك هقولك كل حاجة وهعرفك الي حصل.

اتفقنا أن نتقابل بعد عدة ساعات، شغلتنى بالقلق على صحتها وأسرتها،

لا أتحمل أن أستمع خبر سيئ قد أصاب أحدهم

وقد ملأتني الأيام السابقة بالكثير والكثير.

وذهبت صوب المكان المحدد قبل الموعد بقليل،

وانتظرت حتى الموعد ومر الموعد

وانتظرت أكثر

ولكن أحداً لم يجرى إلى هذا المكان!

حاولت الاتصال بها وفوجئت أن هاتفها قد أغلق،

لم أختلق الأعذار لهذا

وشعرت أنني ظللت هناك أكثر من اللازم بكثير،
لذا فضلت العودة الى الدار أو مشفى سماح،
لكن اختياري الثالث كان الأكثر تفضيلاً لعقلي في ذلك الوقت، وهو الذهاب إلى منزل ماجد.

لا أذهب إلى منزله سوى للمواقف الصعبة والأزمات، وكان هاتفه المغلق هو الآخر يملئني حيرة
على غير ما اعتدت نحوه،

فماجد يعتاد على الغياب لسفوف المتكرر إلى الإسكندرية أحياناً، وسفره مع صاحبتة مرات أخرى
والمختلف في هذه المرة، أن هاتفه غير متاح لعدة أيام وكأن الكهرباء نضبت من منزله
توجهت نحو منزله

أصعد درجة، أتلفس أرجوانية جدرانها،

أعرف ان إقدامي على الصعود يغضبه لأنه لا يحب أن يراني أحد أقصد منزل أعزب
كان يخاف على سمعتي، يشعرني بأنه رجل.

وصلت الى باب المنزل، وعلى غير ما اعتادت يدي،

طرقت باب الدار بيدي برفق فضلاً عن ضغط زر جرس الباب

ذلك عندما سمعت أصوات مجتمعة أعرفها جيداً وتعرفها آذاني جيداً،

ذلك كان صوت ماجد و متوقع وصوت نورا ولم اتوقعه.

-متحطيش في مشكلة مع أقرب واحدة ليا في حياتي يا ماجد!

عايزتعرّفها يبقى تقولها انت.

- اهدي بس. احنا معملناش حاجة غلط، هي جت منها وقالتلي انها مش عايزة ترتبط بيا.

- برضه ده ميخصنيش، انا بلوم نفسي كل يوم على العلاقة الي بيني وبينك بسبب سمر رغم إني مش بغضب ربنا، لكن عندي تأنيب ضمير بشع، ارجوك اتصرف.

- أكيد هيجي وقت مناسب ونتفاهم معاها، ومش شرط تفضل صاحبتك.

- انا مش عارفة افاضل بين حبي ليك وحبي لصاحبتي، مقدرتش اروحلها وابص في وشها واكلمها واقولها متزعليش مني،

الشخص الي بتحبيه بيحبنى انا وانا بحبه،

وانه مش عيان وأنا عاملين عليكي حوار كبير عشان خاطر إنك تطفشي وتسيبيه ونطلعك غلطانة وأنها طلعت جدعة ومهربتش،

ماجد، فكر وكلمني وقولي هتعمل ايه.

لما تحب تكلمني رن على تليفون البيت وانا هفتح الموبايل ساعتها، انا خايفة افتحه تروح هي متصلة، انا ماشية.

اسرعت بالصعود الى اعلى الدور التالي.. نظرت لباب المنزل يفتح،

انظر بتمعن كي أتأكد انها صديقتي،

وجدتها هي، نورا، صديقتي منذ نعومة القلب،

ورغم اننا كبرنا يوما بعد يوما نتابع قلوب بعضنا البعض منذ طفولتنا،
 لم ألحظ ان قلبها تحول الى هذا الشيء البغيض
 الذي يحلل أذية الأقربين له،
 نزلت دموعي بغزارة كبيرة وانا اجلس على السلم،
 ثم أكملت سيرتي حتى وصلت الى الشارع من جديد

تمنيت أني لم أذهب هناك ولم أسمع ما جرى من حوار بينهما، وتمنيت الموت والانتقام ثم
 الانتحار والنسيان.

كل ذلك الاضطراب في النهاية تأكدت أني لن أعرف حقيقة مشاعري في تلك الأثناء
 لأنها قاسية، يكاد المرء أن يفني عمره دون يمر بمثلها مجددا.

عدت من جديد الى المنزل أفكر فيما حدث،
 أحدث نفسي _

لم أكن أحبه من صميم قلبي، وجدت أني اختلف معه احيانا كثيرة وتمنيت في احيانا أكثر أن
 أرحل عن عالمه،

وبمجرد أن علمت بمرضه لم اشعر بقسوة الحزن،
 لكنني تعاطفت!

وبالاختلاف تعابير الحب والتعاطف والشفقة،
 تتسلسل وبين كل منها درجات للاختلاف.

اختلفنا كثيرا في تلك السنوات بيننا،
وكلما مر الوقت زادت فجوة الخلاف بيننا،
لم يكن يسمع لي ولم أكن اسمع له في احيان كثيرة،
حتى أصبحنا نتساءل ماذا حدث لنا ومتى وصلنا إلى هنا من حدة الخلاف،
فبات الفراق محتوم،
ذلك حين ظهرت معالم الهروب من المسؤولية والارتباط بحجة الدراسة أولا ثم توالى الحجج
واحدة تلو الأخرى، تتشارك جميعها في اللامنتقية،
حتى اتخذت قراراً بأن أنفصل في أقرب فرصة يسمح فيها قلبي بالفراق،
بأن أجد له ثغرة، أو موقف يعيب علاقتنا،
وبمجيء المرض تغيرت نظرتي من التعاطف إلى الشفقة،
تعاطفت لعلاقتنا، ثم أشفقت على حالته المرضية،
وأصبحت أنظر لنفسى أنى مسؤولة عن حالته إذا ساءت أكثر،
وابعدت فكرة الفراق من عقلي!
لكن قلبي!
لم يغير موقفه، وانتظر.

حتى اليوم، غيرت حالتي من الشفقة الى الاحتقار والاشمئزاز من تلك العلاقة المحرمة،
علاقة أساسها رفيقتي التي خدعتني طيلة صداقتنا،
"وإن حققت ما أردت بالانفصال"، لكن ليس هي الحجة التي اردتها.

أغلقت هاتفي خوفاً من اتصالها لأن إجابتي لم تكن جاهزة في تلك الأثناء،
ثم عاودت فتح الهاتف من جديد،
ومرت ساعة حتى اتصلت مجدداً في مكالمة فاترة فحوها أن تبغني اعتذارها لعدم القدوم اليوم،
وأنها بخير ولم يحدث شيء، وعلياً أن اطمئن كثيراً،
وأنها ستبغني بموعد نتقابل فيه مجدداً عما قريب،
انتهت المكالمة، كنت أشعر أني أسمع صوتها لأول مرة وأنا لم أعاشرها من قبل، وعلمت أني لم
أحدد موقعي من صديقتي وهل سأخسرهما رغم إسدائها لذلك المعروف في حياتي،
أم سأخرجها بعيداً عن حياتي بعد أن أدخلتني في لعبة أرهقت فيها مشاعري وأحزاني على مرض
زائف وحب باطل،
واتخذت قراري ورغم صعوبة تصديقه،
إلا أن هذا القرار سيريح عقلي وسينهي قلق تفكيري،
والآن، أسقط آخر دموع عيني قبل أن أترك مقعدي في المنزل وأجذب حقيقتي وأذهب لتنفيذ ما
قررت مؤخرًا.

الفصل الثالث

ناهد

(٢)

●●● ٢٠٠٩ نوفمبر ●●●

10_34 AM

أقف على جانب ذلك الجدول أطلق نظراتي نحو الأفق لعلي أجده،

لم يأت، كعادته

ذهبت وغادرت المكان وقد أمضيت الكثير من الدقائق التي تباطأت لأنني أحصيها

وقد مر الكثير منها،

سأشتري القليل من الحلوى، طعام الإفطار أيضا ولم يتبقى سوى قليل النقود

يكفي لشراء مقرمشات الخبز، بجانبه حساء الفول المدمس ولا يوجد المدمس لدينا بل

شبيهه المدمس،

فبعد أن تركنا أبي عازماً نحو العراق لعله يكمل تحسين معيشتنا مثلما كانت عندما كان في ليبيا،

تم ترحيله مع بعض العبيد الآخرين بعد أن أغلق المصنع أبوابه أمام رغبتهم في العمل،

ذهب أبي ولم ولن أكثر متى سيعود،

أكثر فقط بما يرسل من حبات الأموال وقد باتت تقل حتى توقفت تماما منذ شهرين،

تقول أمي أن ذلك لأنه بالتأكيد قد تزوج عليها كتفكير باقي نساء القرية،
أما تفكيري أنا،

الأموال، متى سيرسلها!

تأخر أبي كثيراً، ولم يتأخر وحده،

فلقد تأخر انتشالي من المستنقع وقد سئمت كثيراً من ذلك،

أطرق على باب الدار برفق عنيف خوفاً من سقوطه فوق رأس أمي،

-أتأخرتي كده ليه يا بيه، ساعة بتجيبي فطار!

-ونبي ياما متفلجيش راسي منجصاش

-خلاص يا ااختي، احلي المعزة عجال ما احضر الوكل،

-معزة... هحلبها، صبرني يارب ع العيشة المرار دهيه، ربنا يخلصني من العيشة دي زهجت

-جرى ايه يا بت يا مجنونة انتي، حد كلمك

اخذت ذلك الوعاء العميق وتوجهت في صمت إلى تلك الحيوانات،

تذكرني تلك العنزة بحالي، فقد قسونا عليها اشد القسوة

أعتصرها بقسوة وأدرك ذلك،

لكن غضبي وزجري كانا لهما سطوة الفعل،

إلى أن دعاني ثغائها للتوقف، رغم أنها لم تجلب ما قد اعتدنا عليه، كان أقل بكثير

ولم أكثر،

فلم أكن اعتصرها لجلب هذا الطازج من الألبان،
 لكن لأفرغ غضبي مقابل ان تفرغ حليبيها،
 وعلى غرار الانتظار،

-اعملي حسابك حبيبة جاية انهاردة تجعد معايا شوية
 -تيجي يا اختي، وأنا من امتي كان ليا كلمة عليك
 -نفضنا من السيرة دي ياما،

أصبحت في ملل متكرر لا ينتهي بعدما تركتني سماح،
 لم أعد أحمل هم التفكير بهموم أحد مثلما كان حالي في وجودها،

ليته يعود،

أود أن أخبره ما جرى بتلك المكالمة الصادمة لي،

أحاول تخمين ما قد يحمله من شعور بشأن ذلك،

هل سيذهب لرؤية عائلته وما حل عليهم من بلاء!

على كل، سأختبر جانب انساني جديد بداخله

في هذه المرة،

دائما ما يراني البعض سليطة اللسان،

جريئة، مرحة، لا أخشى أهلي،

نعم، لهم الحق فكل ذلك صحيح

لكن بداخلي، أنثى،

فقدت نضرتها مع انتشار غيمة اللاحب

لم أشعر بالحبيب ولا حتى بحب الأهل،

أبي الباحث عن الأموال، وأمي البعيدة عن واقع تربية الأبناء،

فلم أجد من يحتويني، فقامت بالمهمة

واحتويتها، نفسي!

موجهة حديثها إلى، _

-امال مالك يا اختي رامية تليفونك ليه، مش عادتك يا غندورة.

-،،،-

-مسمعا انيش!

-سمعاكي يا اما سمعاكي، بجولك ايه شيليني من دماغك اليومين داهم، لاحسن مطيجاش نفسي

-*مسم*، انا حظي في بت هبله، يوم تبجي مزجطة ويوم تبجي زي الطين.

- مااااا خلاص يااااا اما...!

- بخاطره ياختي خلاص.

لا أتعجب من ضعف شخصية أمي

فلقد اعتدت واعتادت على ذلك

وأحافظ على ألا تخرج من اطار شخصيتها تلك.

استمرت في قدح طعامها المشبع بزبوته

كما اعتادت ومضى الوقت سريعا.

3_02 Pm

- أما حبيبة جت،

- خشي يا حبيبة متتكسفيش،

- ازيك يا خالتي وازي صحتك،

- تسلمي يا حبيبتي، ازي أمك وأخوكي

- بتسلم عليك، ابجي طلي عليها

- من عنيا ياختي،

- خشي استيني جوا يا حبيبة،

- بجولك ياما، حطيلها من الحاجات الي جبتها الصبح
 - *مسم*، طيب ياختي، حسك عينك تفتحي سيرة موضوع أبوكي جدامها
 تلاجي الحراية أمها عايزاني أفوت عليها عشان تتودود في حكاويها الماسخة دهيه
 - مش هنطج في الحكاية دهيه، خلصينا بجى وحتي العصير

ماضية في طريقي نحوغرفتي وهي أقرب من طول الجملة السابقة،

- وحتيني يا بيه،

- أنتي أكثر، ها احكيلي عاملة ايه مع حبيك

- عملواسود، روحته تاني انهاردة ومجاش

- يوه، بيات فين الجدع ده،

- عند حد من صحابه، بس لازم اشوفه اليومين دول، لازم أعرف مطرحه

- حصل حاجة؟

- العصيبير، عملهولك بإيدي يا بت يا حبيبة

وحتيني ووحشتني جعدة أمك

- عارفة ياما انها واحشتك عارفة، اجفلي الباب وسيينا لوحدنا شوية

- ماشية من غير ما تجولي، هروح احبس الانارب جبل الدنيا ما تسود،

تأكدت أنها اغلقت الباب تماما،

بعد ان عرفت ما حل بها من مرض في تلك المكالمة، أشعر أنني قد آتاني الموت وأناي قد
أصبحت روح،

لكن تلك الروح مازال بإمكانها الشعور بالحزن والألم،

إذاً، فانا لم أمت، لم أصبح روح

بإمكانني التألم، ليس جسديا،

معنويا!

فما يتألم هي الروح، ولست بروح

مفارقة محيرة، محيرة بحجم حياتنا وفلسفتها

-واني هعرف منين!

-طيب، هجوم انا جبل ما أخويا يرجع

-مش هتشربي العصير!

-ههههه الكوباية فاضية ياختي ... سلامة الشوف، فوتك بعافية همشي انا

-يعافيك، ردي الباب وراكي

لم أود التحدث بشأن سماح، وان كان ذلك لن يغير شئ، لكني أكره الحديث في شئ قد يجلب

لي الحزن من قريب أو بعيد

وإن بدا ذلك بعيداً، فهو قريب جداً، بداخلي.

كنت قد تلقيت مكالمة منذ عدة أيام،
اثارت بداخلي الذكريات الهادئة وأعادت لعقلي التفكير من جديد

.....

التقطه متأخراً، لكن النعمة عادت من جديد،
ثم رد،

-مين؟

-ممكن أكلم نا اهد لو سمحت؟

-انت صاحبتها

-اه أنا صاحبتها،

-خدي اهيه معاكي،

-أيوة مين معايا،

في تلك اللحظات كان أحمد يحاورني بلغة الاشارة ويخبرني انه سينصرف،

كنت أحاول إخباره شيئاً لا أتذكره

ذلك قبل ان يصيبي شلل التفكير لسماعي تلك الكلمات

-انا سمر بنت عم سمااح، فكراني

انتابني الصمت وشعرت بمفاجأة كبيرة لحلول ذلك الضيف،

-اه ازيك يا سمر، وازي سماح، معلى أخويا رد عليكى، أصل رقمك غريب وأنا مش برد غير ع

الارقام المتسجلة في الجايمة عندي

-مش مشكلة حصل خير، أنا كويسة، بس سماح هي الي مش كويسة،

-مالها سماح كفى الله الشر يا اختي،

-انتي لوحدك؟

-اه اه لوحدي جولي مالها،

-سماح تعبت ونقلناها مستشفى

-ليه حصلها ايه كفى الله الشر عنها؟!

-للأسف جالها مرض وحش

سكونها دائما ما كان يندرنى بأنها صاحبة مرض ولكن كان كل ذلك مجرد تكهنات عبثية

وتوقعت ذلك المرض الذي يخشاه البشر حتى في حديثهم

يلهووووي، سرطان، جالها سرطان!

-لا لا وطي صوتك، استني يابنتي اسمعي

-اومال جالها ايه،

-جالها ايدز

صُدمت عند سماعي لذلك، فذلك المرض بجانب كونه مرض إلا انه وصمة عار على جبين حامله

-يا لهوووي، ياريتته كان سرطان،

-أنا محتجاي، الكلام ده ملوش فايدة

-أؤمري ياختي،

-انا عايزكي تقولي مين الي عمل كده في سماح

-عمل ايه؟

-يعني هي مقاتلش ليكي يعني، مين الي اغتصب سماااح؟

دوما ما كنت امتلك الجرأة ولم أرى سماح في يوم تمتلك خصلة من خصال الجرأة، ولم اتوقع أن تخبر أحد بما حل عليها من لعنة وعار.

وبعد كثرة تلك الطلقات المتمثلة في حديث،

شعرت أنني صريعة وأصابني الصمت من جديد

وأغلقت يداي تلك المكالمة السريعة الدسمة بأخبارها،

تابعت طريقي خارج ذلك الدار، التقط أنفاسي من جديد وأفكر فيما دار بذلك الحديث المفاجئ.

أتبين وجوه الخلق حولي وأجد وجهي الأكثر دهشة وفزع مما تلقاه قبل قليل.

سماح، رفيقتي، أختي وصديقتي،
أصابها المرض، تلك الأمراض التي لا يعرف أصدقائها مسلك لطريق الشفاء اللامتناهي.

ومن ناحية أخرى أجد نفسي في محل استجواب،
لأسرار تنكرها ذاكرتي منعا للمشكلات،

والحل الآن أن أجد من أشير إليه ليجاور تفكير عقلي ويساهم معي في إيجاد حل،

ولا داعي لكثرة التفكير ليس لي إله، أحمد
لكن أين هو الآن،

توجهت نحو بقالة قريبة وقد طلبت شحن هاتفني بما تبقى معي من أموال وقد بلغ تسع جنيهات

-معلش هبجي اجيبك الجنيه، بس هات الكارت دلوق عشان محتاجاه

-بعشرة ونص، خدي وتجيبي الجنيه ونص طوالي

-*مسم*، حااضر يا أخويا. يعني هاكلهم عليك!

-بس متجوليش أخويا دي،

-هههه حااضر يا بوياء، *مسم*

لا أتقبل أي نوع من المزاح لكن الحاجة تتطلب المزيد من الرياء،

أشعر بأثار وخذ نظراته تتابع جسدي،
تأكلني تلاحقني كالطفح الذي يوسع من بقعته بسرعة،

أ حاول الاتصال به مراراً تكررألكنه لا يجيب حاجة هاتفه من الرد،

ها هو قد استجاب لحاجتي،

-اييي يا بيه دوشتيني!

-انت فين، أني واجعة في نصيبة

-مانجصش محنك ده، ورايا مصلحة هخلصها وأكلمك

-هتكلمني مييتي،

-علطول علطول،

-يا أحمد،

أغلق هاتفه سريعاً ولا أدري ما يسرعه هكذا،

لكنه يجد لدي شبع لشهوته،

ومتعهونشوته، فلما يكثرث بي،

وقد حصل على ما أراد من نواقص لا يجدها

إلا لدي!

أسرعت نحو الدار وقد امتلأت نسيمات الهواء
بالحان فيروز ولا أتحمسها،

أتذكر عشق سماح لكلمات فيروز، كانت تخبرني أنها تعشق أغانيها وتتمنى أن تمتلك هاتفها لتملئه
بنغماتها،

عدت إلى الدار، أغلقت هاتفي، وجهتي نحو مرقدتي،

.....

(٤)

●●●● ٣ نوفمبر ٢٠٠٩ ●●●●

12_00 PM

استيقظت من ذلك النوم الطويل ليس عن طريق أمي في تلك المرة،
بل عن طريق أصوات حيوانات الدار،
وذباب منزلنا وضوء الشمس المتسلل من بين فتحات نافذتي، تصطف الأتربة الهائمة في مسلك
ضياته كأنها تبحث عن الدفيء.

وبعد ان انتهت فلسفتي الصباحية عدت إلى رشدي من جديد،
لم أجد أمي، تذكرت أنها على موعد لتلبية دعوة والدة حبيبة،
الرياء،

يسلك طريقه في مجاري الجسد مسلك الدماء،

يصبح جزءاً من الشخصية،

حتى يصل لمرحلة لا يشعر فيها المنافق بنفاقه،

ويظن أنه لا ينافق!

أطعمت الافواه الجائعة بالمنزل، بما فيها فاهي،

وجدت هاتفني وقد ملئ وجهه وجنباة بالأتربة،
أزحت الأتربة ووضعتة في مضخة الكهرباء،
وأمهلتة وقته كي يضيء،

عجبا!

لم أتلق مكالمات من أحمد، فقط ما يقرب من ثلاثون مكالمة من تلك الفتاة التي أخبرتني أنها
ابنة عم سماح، وقد أغلقت الهاتف بعدما انهالت بالاتصالات عليه،

لم يتصل بي، فهل أتنه الرياح التي ابعدت ابي عنا!
سأعرف الآن،

سأحاول الاتصال به مجدداً، لعله يجيب!

-الوووه، ايوة يا أحمد!

-عايزة ايه يا بت الساعة دي

-انا مش كنت جولتلك اني عايزاك في نصيبة

-خير يا جلابة النصايب، مش هرتاح من مشاكلك انتي وامك، هما غاروا بقرفهم وانتوهتقرفوني
مكانهم، جولي عايزة ابيه

-دي نصايك انت يا اخويا، بنت عمك اتصلت بياااا، بتجول اختك تعبانة جوي

-بنت عمي ميين!!

-واحدة بتجول انها بنت عمك اسمها سمر،

-ايوة ايوة ايوة، هماا راحولها، ما تتعب ولا تدعج. هي دي بيجرالها حاجة

هتجوم كمان كام يوم زي الشيطانة

-اختك جالها مرض بطل مش هتجوم منه ابدأ،

جالك عار فوق عاركم

-جالها اي يا بت انطجي،

-ايدز،

-بتجولي ايدز! يابنت الكلب يا فاجرة، دي مدوراها من زماان، وابويا مفكرني إني السبب،

بجولك ايبه انا لازم اشوفك النهاردة

تعالى على البيت

-نص ساعة وجيالك، اجفل دلوجتي سلام سلام

كنت قد استمعت إلى صوت أمي قد عادت وسط جلبتها المعتادة

وسرعان ما أغلقت هاتفى مجدداً قبل ان تستكمل القاهرية وصلة ازعاجها

-أني هعدي على حبيبة ياما أجعد حبتين معاها

-حبيبة وامها سافروا المنصورة يزوروا خالة حبيبة،

-انتِ مش كنتي بتزوريها!

-منا ساعدتهم في لمة الهدمتين والكام حاجة الي نجصاهم وسافروا طوالي، اتهدى انتِ بس كده

واتبطي واركزي في الدار بدل ما انت دايرة تلفي هنا وهناك خليتي الناس ياكلوا وشنا

-جرى اي يااما ما تعدي النهار ده على خيبير!

- لا يابت خوفيني، تكونيش فاكرة نفسك ست البيت وانا الخدامة الي جبهالك ابوكي، مالك يا
بت، تتكلمي عدل، ومفيش خروج بره الدار من غير إذني، ابوكي مش موجود فجولتي تسوجيها
عليهااااا، لا ياالروح امك ده انا اكلك بسناني ... هواكمني ساكته على جرفك تجومي تزيدهااا،
-،-

لم اقل شئ، اكتفيت بالدخول لغرفتي والدهشة تملئني، اهذه المرأة هي أمي؟!
لقد تأخر ذلك كثيراً، تأخرتي كثيراً في الردع
فلن يكن لذلك تأثير،
شعرت ان مخالبي قد أصابتها السلامة،
إني ضعفت أمام دهشتي ورأيت دموعي تتساقط في ظل تلك الابتسامة الساخرة من حالي.
توجهت نحو المرأة لأشاهد الدموع،
مثلما يهرول الأطفال لمشاهدة قطرات المطر،
فعلى عكس الامطار،
لا تسقط دموع من مرتفعاتها إلا بتأثر حقيقي،
لا مجال للنفاق فيه.

سقطت كلمات أمي على آذاني، مثلما ترتطم الصفحة على الوجه!
قد تستطيع تلك الكلمات أن تحرك مشاعري،
لشعرتني بمقامي وموضعي الحقيقي وهو أني أبنة ولست أم، لكن ذلك لن يغير شيء،

فلن تستطيع مقاومة ميل الغصن دون كسره،

لم تمض ساعة واحدة على موعد استيقاظي،
لكني شعرت برغبة قاتلة وحاجة ماسة،
إلى الراحة،

7_56 pm

استيقظت مجدداً بعدما أخذت قسط يكفيني لأيام قادمة،
اسرعت لإيقاظ الهاتف حتى أعرف حيثيات ما جد على ذلك الموعد،
الذي حالت أمي بيني وبينه.

وجدت الهاتف ممتلئاً بالمكالمات أغلبها من أحمد وقليلها من تلك الفتاة الغريبة،

عاودت الاتصال به لأخبره ما حدث،

-ايوة يا أحمد

-أني مش جولتلك تيجي يا بت

-أمي جفشت عليا وبهدلتنى ومعرفتش اخرج

-من امتى ده، ما طول عمرك بتخرجي

-معرفش بجى

-طب تعالى نواحي الدكانة وانا هجيلك

-هجولها اي!

-جوليلها هتاخدي حاجة نسييتها عند حبيبة

-حبيبة سافرت، معدتش هعرف اتحجج بيها

-أمك هتنام امتى

-نامت

-هجيلك عند الداار من ورا، لما اجي هبعثك كلمني شكرا تخرجي طوالي،

-ماشي

أغلق الهاتف ولم يخبرني بسلامه كعادته،

ولم أود سلامه.

يتحضر عقلي لسرد ذاك النقاش المطروح بيني وبين القاهرية،

دقائق قليلة مرت تشكل خطواته ناحية داري،

وبالكاد كانت خطواته وتريه نحوي،

حيث جاء سريعاً، وسمعت صوته المستعار المنخفض يدعوني للخروج سريعاً من شرفتي ...

-تعالى نمشي بعيد عن النواحي دي عشان نتكلم

-أمي بتصحى في اي وحت

-انتي مش جافلة اوضتك كويس، هتفكرك نايمه

يلا بس من النواحي دي

استجبت له وفي تلك اللحظات كان الملل والإحباط قد تملكني ولا اعرف لماذا.

-احكي لي بجي حصل ابيه!

-يوم ما كنا مع بعض، وانت مشيت لما واحدة ردت عليك وجالتك انها صاحبتني

-هاا اخلصي

-المهم جالتني انها بت عم سماح، وان سماح تعبت وجالها مرض بطل

-جالتك ايدز!

-ايوة زي ما جولت كده

-جالها من ايه دهوه

-انا ايش اعرفني، ومش بس كده على فكرة

-اومال يا غراب، اي تاني

-وانا مالي انا يا أخويا، بتجولي عايزة اعرف مين اغتصب سمااح

-،،،،

رأيت حمرة وجهه تصعد تدريجيا حتى تمكنت من خصلات شعره الأسود ذاك، انفجر وبانفجاره القى بزجاجة المياه الغازية في أرضية الطريق فصنعت ضجيج أفرعني،

وصنع تأثير مشابه للمارة القليلين هناك،

أحياناً بل نقل دائماً ما يفزعني غضبه،
حينها ينجح في كسر شوكة ثقتي بنفسي،
ولا اعرف كيف.

-وابويا وصل بيه التخريف وسنه الكبير انه يعرف الخليج حاجة زي دي، وطى راسي في الأرض
وراسه

أني هروح اجتلهم واجتل الفاجرة الي جابتلنا العار
وجابتلي الذل، لا وفي الآخر يجولوا إني السبب،

-أحمد انا عايزة أجولك سر

-سر ايه!

،-

-ما تنطجي يا بهيمة انت، حاجة على سماااح؟

-٥٥، سر بيني وبينها من جبل ما هي تسافر بس حلفتني ما حد يعرف

-جولي يا ناهد

،-

-يا ناهد، جولي، عايزين نخلص من الموضوع دهوه عشان نتجوز، ونخلص يا بت،

عاجبك حالك انتي وأمك، هتبجي بايرة يا بت

-هجولك، بس توعدي لما نخلص من الحكاية دهيه نتجوز،

-هنتجوز يا بت، جولي

حينها أدركت أن علياً اقرر إما نفسي أوسماح،

في واقع الأمر، لم أنتظر كل تلك الايام السابقة لأفكر بشأن مكالمة،

بل لإفشاء ذلك السر الذي أقحم الجميع بدوامه،

أساسها جنون ومجون،

أخبرته السر، وأثار فزعه ضجة ماثلت سابقتها بأضعاف الأضعاف،

حينها طلب مني العودة إلى الدار وانتظار رد منه،

لكنها كانت العودة الأخيرة في الساعات الأخيرة قبل منتصف الليل مساء الثالث من نوفمبر،

ولم يكن المنزل هو وجهتي الأخيرة في ذلك اليوم الصاخب والذي امتلئ ليلاه بالصخب

بدلاً من نهاره.

توجهت إلى مؤخرة الشرفة، وكان نور الغرفة مغلق،

ألقيت بثقلي كالمعتاد إلى الداخل،

لكن القدر صنع لي مفاجأة،

ولا تكن المفاجآت دائماً سعيدة،

فجأة أُضيئ النور من تلقاء نفسه،

- كنتي فين يا صايعه لحد نص الليل

ايضت جبهتي ذهبولا للوقع الجديد،

- انت جيت امتي يا ابا!

كان أبي قوي البنية، يمتلك من هيئة الجسد ما مكنه من إخضاع امي وإخضاعي لأوامره
وعنفه،

قام من مقعده وأمسك بذراعي، وقالها لي بطريقة نزعت مخارج حروفي.

- الفلوس الي ببعثها كل شهر بترووح فييين؟!

- مفيش فلوس بتي... اااااه

لم أكمل كلماتي حتى صفعني،

لن أنسى تلك الصفعة لبقية عمري

انتشلني من أرضية الحجرة وقد أخرج أمي خارجها وسط صرخاتها التي ملئت الدار عن آخره

وأقدمت على الفعل بأن جلبت حقيبة رديئة،
جمعت بها ما خف وزنه وزاد ثمنه،
بها ملابس أيضاً،

دقائق وسمعت الصوت المستعار،
ألقيت بالحقيبة خارج الغرفة،
ثم ودعت ديارى على أمل اللقاء مجدداً،
تركت دموعي
ورحلت.

.....

(٥)

●●● ٧ نوفمبر ٢٠٠٩ ●●●

12_13 pm

-حمليني يا بيه، سيبي خلاص سيبي

انا الآن في محطة لم أقطنها سوى مرتين لزيارة خالتي التي لا أتذكر هيئتها في ذلك الحين،
محطة مصر،

نقف في وسط الجموع نعرف وجهتنا ونجهل الوسيلة إليها.

أرهقتني المسافات والأيام القليلة الماضية،

تتملكني رغبة كبيرة في النوم والبكاء،

مر ما يقرب من ثلاث ليال بعيدة عن أحضان أمي "ولم اقطنها منذ زمن ايضاً".

أحياناً أشعر أنني أوقعت نفسي بدوامة كبيرة،

وأنني نادمة

لكن سرعان ما أراجع عن ذلك الشعور،

-فين المواصلة الي انت جولت عليها

-الراجل جال نستناه هنا، يبجي نستناه هناااا

-اديني مستنية

-اهم حاجة فاكرة هتعملي ايه ولا هتضيعينا هناك

-خلاص بجي، خوتني بالسيرة دهيه طول الطريق

كنت مقبلة على مراسم تشييع جنازة شخص ما

،،،

بيديأملك الابتلاء أوالخلاص في تلك اللحظة،

لكني تركت لسيد أمري القرار،

تركت له يداي ليطش بهما،

-اهوالراجل جه ...

-انتوتبع الآنسه سمر؟ انت أحمد،

-ايوة اني،

-اركبوا يلااا،

توجهنا نحوطريق مجهول،

نعلم نهايته ومقصده،

وضعت رأسي على نافذة السيارة ليكمل راحته بعد راحة القطار،

تهتز رأسي مع حركة السيارة كأنها تهدهد ذاتي المحطمة، من حال مرير إلى واقع أمر،
هكذا يتبدل الوضع وهذا ما انتظره كلما مضى الطريق ليلغ نهايته ومقصده،
لكن الطريق كان صاحب النفس الأقصر في تلك الرحلة القصيرة،
فلقد بلغ نهايته قبل ان أعرف وجهتي حتى.

-شايين التريزة الي هناك دي، هي دي الأنسة سمر

-تشكر يا أحننا، افحلنا شنطة العربية بجي

-لا خلي حاجتكم في العربية، كلنا هنرجع بيها

-طب وهي متجيش تركب معانا ليه، وبتكلم في الطريج؟

-هتتكلم معاكم هناك شوية، يلا متضيعوش وقتكم

هممنا بالنزول من تلك السيارة الفارحة،

وقد جهلت طريقة فتحها بالبداية في مشهد مخجل،

ها هي القاهرية، طال الانتظار

تشبه بطلات أفلام القتال، في نظراتها،

أشعر أن غرورها يملأها، تتظاهر أنها لا تنظر لنا ولكن الحماس الممتزج بالرهبة قد تملكها في

لحظة رؤيتنا.

نظرت لها نظرة اشمنزاز،

فلماذا ايقظت ما أكره أن أتذكره،
تجعلني أختار ما بين الصعب والأصعب،
بالفعل سأختار الصعب، لكنه ليس سهلا بالنهاية.
تبحث عن حقيقة مثل الطوفان، يغرق من يعرفه ويصل إليه،
فإذا كان وحصلت على ما تمنيت مقابل تلك الصفقة العفنة،
هل سيتخلص عقلي من ذاكرته المسرطنة،
ستدمرني، وكيف لي ان احسم أمر كهذا.
لم ترد السلام، فقط زادت من غموضها،

-تصدق مفتكرتكش شكلك خالص، مع اني جتلكم من فترة مش كبيرة
-بس انا عارف شكلك
-طب كويس ان حد مننا فاكر شكل الثاني
ازيك، انتِ ناهد، صح !
-اكيد مش حد تاني،
-شوفوا تتغدوا وبعدين نتكلم، هطلبلكم أنا

فاض الكيل، وتمنيت اني لم آت لهذه البلدة،
فليس هذا هو الصوت الضعيف الذي يحدثني في الهاتف،
وإذا افترضت أن سماح قد أخبرتها بكل شيء قد دار بيننا، فمن المحتمل أنها قد جلبتنا هنا

لكي تشير المشاكل والأزمات،

ومهما بلغ نصيبي،

فلأخيها نصيب الأسد.

-عشان اكون صريحة معاك يا أحمد، أنا طبعا كنت عيزاك تيجي عشان تقف جنب اهلك والكلام

ده، بس في سبب تاني الي خلاني أكلم ناهد وأنا عارفة إنني عشان اوصلك

كنت لازم أكلم ناهد هههههه، مش بقولك عارفة كل حاجة

في لحظة ابتسامتها تلك كان أحمد ينظر لي في توتر يشبه أداء ممثلي العقد الرابع من القرن

الماضي،

أدركت انها قد جلبتنا مثل الدروس الحمقاء،

لكي نقع في مصيدتها،

فلنجعل الدقائق القادمة تحدد من ستزل قدماه،

في مصيدة الآخر.

-بصي يا استاذة سمر، سماح أختي وصاحبتي من زمان وأنا عارفها أكثر واحدة

وعشان كده ...،

قاطعتني سمر،

-طيب الأكل وصل، ممكن نكمل كلام بعد الأكل،

لم تكن تلك هي المرة الأولى التي تقاطعني أوتخجلني فيها هذه الأثى الحديدية كما تبدو،

انكمش حبل أفكارى ما ان رأيت صحني،

لم أعرف منه سوى الأرز فقط.

-بصي، دي لحمه، جربها هتعجبك، عارفة إنك مش متعودة تاكليها كده

مر ما يقرب من نصف الساعة كانت سمر قد فرغت من طعامها وانتهينا من تلك الخطوة
المخجلة

ثم بدت سمر انها مقبلة على الاستفسار عن كل ما تريد،

فهي تريد الكثير ولدي الكثير لأخبرها به،

فقد مرت الليال القليلة الماضية عصبية، احتسب ما سيحدث اليوم،

oooooooooooo

●●● ٤ نوفمبر ٢٠٠٩ ●●●

12_34 am

تتصاعد أدخنة اللهب المشتعلة في أوراق سجائره باستمرار،
تستقبلهم شفتاه على الرحب والسعة،
وتستقبل أنفي تلك الأدخنة، وقد ألفتها،

هكذا كان طريقي مع أحمد في منتصف تلك الليلة العابسة، إن لم تكن الأعبس منذ ولدت،
لا أفكر أين سأقضي ليلي بمفردي معه،
"وقد حللت النهار لعبي"
لكن أفكر فقط بما دار بيني وبين أبي،
ماذا ستفعل أمي عندما لا تجدني في غرفتي،

أتساءل أكثر!

من سيستجيب للشغاء، فأنا فقط من أجيئه،
تشابكت خيوط تفكيري واختلقت كثيراً ودعتني للعودة نحو المنزل من جديد وصرف ذلك
الشیطان الذي يبعثني عن عالمي أكثر وأكثر نحو عالم أكثر غموضاً.

لكن رغم كل ذلك التفكير مضيت في إنهاء طريقي المجهول مع أحمد،
 تمر الدقائق وتتجمع لتكون ساعة فساعات،
 وانتهت المحطة بنا في منزل أحد اصدقائه
 وقد ترك لنا منزله بعدما سافر إلى الخارج.

جلسنا قليلا، لم يسأل أحدنا الآخر عن شيء.

يشعل سجائره، أنظر حولي، تمر الدقائق،
 تتجمع، تكون الساعة فالساعات،
 وانتهى الليل وانتهت سجائره،
 وكان قد غاص في سبات عميق ومازلت أنتظر الثغاء لأجبيه،
 لكنني لم أسمعه في ذلك الفجر،

وضعت رأسي على فرش سريري،
 انسالت دموعي، أجهل سببها
 هل لأنني غادرت بيت أهلي، أم لسبب آخر،
 على اية حال

أكملت نومي بعد ان روضته بصعوبة في تلك الأوقات.

لابد وأنه يود شيء مني!

-بصي بجى يا بت الناس، انا مخمخت كده وفكرت في حاجة نعملها

-ياما جاب الغراب، ربنا يستر

-يابت بطلي طولة لسان وغلبة واسمعي

-معاكي رقم سمر لسه؟

-سمر؟

-اه سمر، مبتسمعش!!

-ليه عايزها في ايه ان شاء الله،

-هتكلميها وتجوليلها إنك عايزة تعرفيها سر

-أنت عايزني اجولها الي حكيت هولك على اختك!!

يادي النايبة

-اهمدي يا بيه، انا هجولك تجوليلها ايه

فوجئت بأن هاتفي كان في جيبه، أخرجته وطلب مني ان اتصل بها الآن،

وقبل ذلك أخبرني بما أراد ان يخبرها تماما،

كنت أريد أن أكتشف في السابق إحدى خصاله الانسانية وها أنا أكتشف الآن!

بعدهما لفتني الدرس جيداً، هممت بالاتصال بسمر،

وما إن اتصلت بها حتى استجابت لها تفهماً في ثواني قليلة،

-الووووو،

-ايوة، انتِ سمر؟

-ايوة أنا، ازيك يا نااهد، انا اتصلت بيكي كتير مكنيتش بتري وموبايلك بيقي مقفول ساعات كتير،

لم تعطني فرصة لأكمل حديثي وشعرت أن الحروف تتطاير من ذاكرتي وأني نسيت ما أود إخبارها إياه!

-طب انا كنت عايزة اجولك موضوع بخصوص سماح وعيزاكي توصليه لعمي وخالتي أم سماح

-موضوع ايه؟ حاجة مهمة يعني؟

-مهمة ياااااا،

-طيب انا كنت عيزاكي تخلي أحمد يجي القاهرة

-احمد يجيلك مصر!

في الواقع تعمدت ان يرتفع صوتي حتى يسمع ذلك المتربص ما يدور في الاتصال،

ثم ضغطت زر مكبر الصوت
حتى يعرف برغبتها،

- اه، لازم يجي عشان يشوف اهله وعشان يحكي حاجات عايزة اعرفها، لأن صعب اعرف
حاجة في التليفون، أنا حاليا في الكلية ومشغولة جدا
فعرفيه وهكلمك أعرف رده ايه، يلا باي

لم تنتظر ردي لتغلق الهاتف سريعا وسط امتعاض واضح على أحمد

- عيزاك تسالافر، هتعمل ايه!

- تلاجي ابويا هوالي شار عليها بالشورى دهيه

- انت لسه خايف من ابوك؟

- انا مبخافش من حد، بس انا مش حابب اشوفهم

بس لو الامر لازم هسافرلهم

لازم اعرفهم إنني مش أنا الي ينعمل معايا كده عشان بت معيوبة زي دي

لم أعرف أكان ذلك الحديث يثير غضبي ام لا،

لكني لم أكن أحب سماع حديث سيء عن سماح،

وتذكرت أني أفشيت أسرارها لأبتسم وأعود لنفسي المهشمة من جديد.

-نساfer، منساferش ليه، ده احنا هنعرفهم الحجيجة بدل الكلام الي ملت بيه دماغهم

-وانا هروح فين، انا مش هجدر ارجع البيت الا وانت بتتجدملي،

انا لوروح ابويا هيجتلني

-شوف بجولها مسافر وداخلين على وجع دماغ تجولي اتجدملي ...

انتي غبية يا بيه؟؟

غبية، والله غبية ومابتفهمني

زيك زي البهيمة بالضبط

عاد سريعاً الى لهجته المعتادة في الحديث،

في الحقيقة

لم يكن يوماً خليل الاحترام، دائماً ما تليق به البذاءة والسخرية.

-يعني بعد ما جييتني هنا وبيتني بره البيت عايزني ارجع البيت تاني!

انت البعيد متحسش!!

-لمي لسانك يا بت، احنا لسه بنفكر هنعمل ايه

-فكر يا فالح، بس اعرف أني لورجعت البيت ابويا هيدبحني،وده بجد مش كلام وخلاص

حينها فكرت في قتله ثم التوجه إلى منزلي بعد انتزاع السكين،
وغرسها مجددا في جسد أبي ولكني فكرت في أمي، ثم فكرت في ذلك الهراء الذي ذكرته
مسبقاً ووجدته خيالي إلى حد كبير!

-انت تسافري معايا

-اسافر معاك اهب ايه هناك!

-هي مش هتصدج حد غيرك، انت صاحبته والي عارفة هي كانت بتفكر ازاى

كانت فكرة صائبة وخائبة في نفس الوقت،
صائبة من ناحية أنه سيسافر معي أووحده وفي تلك الحالة الأخيرة لن أتمكن من الذهاب إلى أي
مكان بمفردي، لا خيار أمامي، هويملك العقدة ويملك حلها،
وخائبة من ناحية أني لا اعرف القاهرة،
وإذا علم أبي أني قد سافرت إلى القاهرة قد يأتي إلى زحفا لكي يقتلني،
فهويعرف الحاج عوض كثيرا وقد يخبر أحدهما الآخر،
فماذا سأخبر سماح وأهلها عن سبب مجيئي من الأساس،

ذلك فرضاً أن سماح ستكثر بسبب مجيئي،
بعدها تسمع ما أود اخباره.

خرج أحمد في تلك الأثناء لشراء بعض الاحتياجات، تركني وأعطاني مهلة التفكير بذلك الأمر
الجلل،
لكني كنت قد حسمت أمري.

●●●●●●●●●●

(٦)

●●● ٧ نوفمبر ٢٠٠٩ ●●●

2_12 pm

-أنا عارفة ان سماح كانت بتحكيك كل حاجة عن حياتها ويومها، وأنتِ كنتي بتروحي معاها في كل مكان هي عيزاه

-مكناش بنروح الا عند الخياطة وعند حبيبة ساعات

-ممامم، طيب مش هنتكلم في الحنة دي دلوقتي، خلينا في المفيد

لم افهم ما كانت تقصده بقولها لكنها اكملت حديثها.

-في واحد حيوان عمل حاجة مش كويسة مع سماح، انا عرفت كده بس معرفتش مين الي عمل كده عشان ناخذ حقها ونرفع قضية عليه

نظرنا انا وأحمد في آن واحد لبعضنا البعض،

واستمرت هي في سرد حديثها.

— أرجوكم ساعدوني، الحاج عوض رفض انه يقولي مين الشخص ده،
بس انا لازم اجييلها حقها من الكلب الي عمل كده

— بس انتِ فاهمة الحكاية غلط خالص يا سمر
— فاهمة ايه غلط؟

— أختي سماح محدش عمل فيها حاجة وحشة!

— انت اكيد فاهمني غلط!

انا قصدي حاجة وحشة بمعنى ...،

بمعنى اغتصبها يا احمد

قالتها وهي تخفض رأسها نحو محمد منتظرة منه ان يُصدم بكلامها
لكن ذلك لم يحدث

— احنا جايين وعارفين انتِ جصدك ايه

سماح محدش اغتصبها

— انت بتقول ايه يا أحمد

على فكرة مش سماح الي قالتلي الموضوع ده
انا عرفته من الحاج عوض شخصيا

-دي كمان أني عارفها، أصل هما زيهم زيك
مش عارفين حاجة
فاهمين غلط

هنا عرفت أن دوري في الحديث قد حان.

-فهميها يا ناهد

نظرت لها وقد ملئت بنظرات الحيرة والاندھاش،
هنا بدأ الخريف.

-سماح محدش عملها حاجة وحشة يا أستاذة سمر، هي ألفت حدوتة كذب في كذب

-كذب في كذب ازاي!

بدأ صدري يضيق بالمكان وبذلك الحديث،

-بصي يا استاذة سمر، من الآخر سماح كانت ماشية مع الواد دهوه بجالها سنين

لحد ما هو مرضيش يتجدملها

قامت جايلة انه عمل كده غصانية

وبعدين خافت لحد يعرف الي بينهم من زمان فقامت قالت تسبق هي

-انت متأكدة من الكلام ده، انت فاهمة انت بتقولي ايه؟

-انا بجولك الي حصل والي أني عرفاه

-طب وعمي اتشاكل مع أحمد ليه! وهي تعمل كده ليه

-لأن الجدع ده كان يعرف أحمد وكان صاحبه من بعيد كده

-بس هي قالت ان خالد كان بيحبها وانه هوالي غدر بيها

نظرت لها وكلي اندهاش صامت واكملت حديثي،

-خالد مين؟

-انا آسفة يا أحمد أنك ممكن متكونش عارف الموضوع ده وأنك بتغير على أختك

بس سماح كانت بتحب خالد صاحبك جدا
وهو كان واعدها بالجواز
بس ضحك عليها في الآخر

رد عليها أحمد باستغراب شديد اقنعني في الواقع،

-بس انا معنديش صحاب اسمهم خالد!

-انت متعرفيش خالد يا ناهد؟

كانت ملامحي قريية من خطوط ملامح اندهاش أحمد،
فوجئت أن سماح أخبرت أحدهم أن أحدا يحبها ويبادلها مشاعر،
فهي لم تكن تآمن على أسرارها سوى بجعبتي الممتلئة عن آخرها،

-أنا عمري ما سمعت الاسم ده!

-يعني سماح كانت بتضحك عليا كل ده !
أكيد في حاجة غلط، بس هي قايلة ليا انها
راحت معاكي لخالد قبل كده
طب ليه هتضحك عليا!

رد أحمد على استفسارها؛

-عشان عايزة تطلع صحابي مش رجالة وأناي مش راجل!

-انا مش قادرة استوعب الي أنا فيه ده كله

طب مين الي هي بتعمل علاقة معاه!

-واحد معرفة من بعيد، بس هودلوجتي سافر راح السعودية!

لمعت عيناها كأنها أرادت قول شيء،

لكنها نظرت في هاتفها،

ثم تطرقت لناحية أخرى.

-احنا اتأخرنا الساعة بقت ثلاثة وربع

انت حابب تيجي لأهلك ولا لأ يا احمد؟!

كان هذا السؤال خارج حسابان أحمد،

-انت شايفة ايه يا سمر؟

-شايقة إنك تيجي وامتكلمش في حاجة دلوقتي الا لما نتفق هنقولهم ايه وازاي

اقتنع أحمد برأيها وتركنا مقاعدنا ليقطنها آخريين،
رحلنا في سيارة أجرة بعدما رحل رجل السيارة الفارحة.

التصقت عيناى بزجاج السيارة،
تلاحق مشاهد عدة في كل مكان،
زحام، مارة وسيارات، حديث هنا،
صمت هناك،
وجدت عيناى تبتسم لرؤية فتيات تمنيت أن أكون مثلهن للحظة،
ثياب فاخرة، سير منمق كثيراً،
رأيتهن لأتذكر حياتي في الريف،
كم هي صعبة!

غالبتي ذكرى أمي لتدمع عيوني قبل أن تشير سمر بأننا وصلنا لمنزلها في هذا الحي المتواضع
نسبة لطريقتها المتكلفة منذ ان رأيتها.

صعدت سلم الدار ولم أعتاد ان أصعد مسافة كهذه،
أجر أقدامى التي غلب عليها الخوف والنعاس من قلة الحركة،

صعدنا ودخلنا منزلها لكننا لم نجد أحداً في النهاية.

-هما يقضوا النهار عند سماح في المستشفى

-طب واحنا هنعمل ايه انهارة

-انت تيجي معايا تشوف اهلك وانت هتستني هنا لحد ما نرجعلك

وهحاول منتأخرش

-بس انا هجعد لوحدي واني معرفش حد في البلد دي!

-انت مش هتخرجي من البيت ومش هتفتحي لحد، عندك كل حاجة ممكن تحتاجيها

شاي، أكل في التلاجة، تليفزيون لوتحبي

متقلقيش مش هنتأخر

هم الأثنان بمغادرة الدار، وقبل ذلك طلب أحمد مني طلب لم يكن وقته أبداً،

-انت يا بت، أني مش معايا ولا جرش هاتي من معاكي

-منين يا حسرة، آخر فلوس ابويا جابها اديتها لك كلها معدش معايا أني كمان!

نظر لي وفكره في شتات كبير،

يريد ان يظهر بمظهر الرجل الذي لم يتأثر،

بلعنة أبيه،

يريد ان يتنزّه على حسابي أمام سمر،
لكنه في النهاية سيركع لأموال أبيه،
مثلما كان يركع لأموالي من قريب،
وانتهاء أموالي ينذر بمعاملة سيئة واستنكار قريباً.

وبمجرد ان خرج أحمد من تلك الغرفة، حذرته سمر لأمر فكرت فيه كثيراً.

-تعرف انت جاي معايا ليه ولا مش عارف؟

-عشان اجولهم ع الحجيجة

-لا لا حجيجة ايه ههههه، انت جاي عشان تشوف أهلك بس وكمان عشان مينفعش أسيبك مع
ناهد في بيت لوحدكم،

ثم نظرت لي واكملت حديثها،

-وانت عارفة هتقوليلهم ايه الي جابك؟

-عيزاني اجولهم حاجة معينة؟

-لا انا مفكرتش في حاجة ليكي، مكنتش اعرف إنك جاية.

. اصلا مستغربة لحد دلوقتي

انت ازاي ساية بيتك ومسافرة كل ده لوحدك

اهلك سابوكي ازاي!

كان تعجبها صريح جدا منا دفعني لإجابة أكثر صراحة،

-أني هربانة من الدار!

تركت سمر ما بيدها من حقائب واتجهت نحوي،

في ذهول كبير.

-يعني اهلك بيدوروا عليك في البلد وانت سيباهم ومسافرة!

-اهوالي حصل، ولومش حابة اني ابجي في دارك يا ست سمر انا ممكن امشي علطول،

وانا هجولهم الحجيجة متخافيش

كنت أعني ذلك حقًا، وقد سئمت كثيرًا في تلك اللحظة من كثرة استجواباتها

وتحكمها المهين.

-انا مش عيزاكي تزعلي مني، أنا خايقة عليك ومستغربة بس مش أكثر

البيت بيتك، وادي راسك هبوسها اهوه

وفكري في اي حاجة تقوليها وخالص.

قبلتني على جبهتي، وكانت اول بادرة عطف منها، لذا غفرت لها كل ما دار معها مسبقا،
على أمل ان تغفر لي هي الأخرى.

-نجيلك حاجة واحنا جاينين يا نااهد؟
-لا تسلمي.

وقفت ونظرت لي بابتسامة جزئية رقيقة

-فكرتيني بسماح، كانت بتقولي نفس الكلمة دي
يلا سلام

-مع السلامة

غادروني وغادروني عقلي ليذهب الى مكان آخر حيث تقبع ذكرانا.



(٧)

●● ١ أغسطس ٢٠٠٥ ●●

8_24 am

تأبى آذاني عن سماع أصوات الهدوء باستثناء صوت هدوء الزقزقة والضواغ البعيد.

أتنفس لأول يوم بعد كبوة ظننت أنها ستقضي عليّ،
كان أبي قد غادر فجراً إلى عمله من جديد،
وستطول رحلته هذه المرة كما أخبرنا،

أنظر حولي أعيد المشاهد إلى ذاكرتي من جديد بعدما فقدتها في غيابي الأيام السابقة
أتوجه الى شراء طعام الإفطار
وصادفت عيناى رؤية سماح تمد ذراعها وقد ظهر ما ترتديه أسفل جلبابها،
طلبا لشراء مرق الفول المدمس.

تابعت قدماى السير وتابعت آذاني الزقزقة وتابعت عيناى سماح،
فلقد اصبحت وحيدة منذ غيابي عنها،
لذا، يراني القادم مهرولة ناحيتها،

لكن قلبها شعر باقترابي منها وأمرها بالنظر ناحيتي لتراني.

-ناااااااهد،

تركت دورها المتقدم في صف المرق لتأتي لي وتحتضني بعنفوانية تُسال لها الدموع
بادلتها هذه المشاعر بحضن وابتسامة صادقة.

-أزيك يا سماح، وحشتني شوفتك

-انتِ أكثر والنعمة، ازيك يا بت

-كويسة الحمد لله وانتِ عام... .

-استني هاخذ الفول واجيلك

عادت من جديد لنكمل حديثنا،

-اومال ايه، ابوكي وافج يخرجك ازاي

-ماهوسافر الفجر، أحسن

-ايوة ايوة، عشان كده عرفتي تخرجي

ولا تزعلي نفسك يا ناهد، السنة الجاية هتنجحي ان شاء الله، بس تذاكري زيي من اول السنة

عشان تعرفي تعدي

وليكي عليا يا ستي هبجي اذاكرلك الانجليزي الي شايلة همه دهوه

-أبويا مش هيخليني اكمل علام،

تظاهرت بالصدمة رغما عني، لكني لم أتأثر من داخلي،
فبعدهما كثرت الأخبار السوداء فوق رأسي مؤخرًا،
لم يكن صعب أبدا أن أستمع لخبر أسود آخر،
لكن تلك المرة كان خفيف الأثر،

فمن الجيد أن ترى من هو قريب منك يبادلك شعور بالألم حتى لا تقف وحدك تلملم شتاتك.

-حرام والله، ده انت شاطرة

-لا وكمان أخويا مكانش موافج وجعد يشعلل في امي وابويا

-معلش، هو أخوكي كده

-كل ما افتكر بزعل، بس شوفتك النهاردة فرحتني اووي

-واني كمان

-انا هوديلهم الفطار ونبجي نتجابل تاني بعد الضهر جبل ما ابويا يرجع

نظرت لها وتحديث بصوت مفرع،

-هتروحي حنة هناااادي!

-ايبيببي صحيح ده أمي كانت جيلالي اطلع جلايتي البمبي المسخسخ احطها ع الشمس
عشان بجالها يامااا مطلعتش

كويس إنك فكرتيني، ابجي فوتي عليا جبلها

-ماشبي، هجيلك، بالسلامة

ذهبت الي طريقي من جديد لأشترى ما وددت من البداية، لأستعد إلى يوم مختلف على غير
المعتاد.

1_23 pm

ومرت معظم مهام الصباح وأخبرت أمي بأني ذاهبة لسماح.

-جولي لأمها إني هفوت عليها نروح سوااا

-حاضر ياامااا

انطلقت في طريقي لم تختلف المشاهد عن صباحها حتى وصلت الي منزل سماح.

أسمع أصوات خلف الباب بينما أطرقة،

-منتااااش جاااي يا محمود، دي حاجات للستات مينفعش تيجي فيها رجالة

وكانت سماح المتحدثة وهي من فتحت لي الباب وهي من ضربت من محمود!
ذلك الطفل الذي لم يتعد السابعة بعد.

-أمااا ناهد جت،

-خشي يا ناهد

ومر الوقت في ما اعتدنا من ثثرة ومقارنة بين ثياب سماح البالية،

ومضى الوقت يدق، حتى ذهبنا أنا وأمي برفقة سماح وزينب ،

-هتخشوا جوا عند الحريم ومشوفش بهيمة منكم مدلية راسها بره، هجطعها

كانت أم سماح هي المتحدثة الآمرة الناهية الآن،

تنظر لها أمي في ذهول واستعداد،

حينها ظهرت أمي وكأنها بالصف الثالث الإعدادي رفقتنا تتلقى الأوامر،

وبدأت مراسم الحنة، تلك التي كلما حضرتهأ تخيل زينتها توضع لي، تجملني في يوم فرحتي أنا
ومن سيطوقني بذراعيه.

تجلس سيدة تضم بين كفيها طبله تجهزها للقرع،
وبدأت الزغاريد تملأ الغرفة وتحشى الخروج منها،
وتعالت أصوات الغناء والرقص كل ذلك وأنا أرى ابتسامة على وجه سماح وهي تتابع الخصور
تهتز ولا أعرف سبب تلك الابتسامة البلهاء، ومازلت أتخيل نفسي وأنا أرف إلى أحمد!

-افرحي ياااادي الاوضة ...

-افرحي يادي الاوضة

-جياااكي عروسة مووووضة

-جياكي عروسة موضة

-افرحي ياااادي المندرة ...

-افرحي يادي المندرة

-جياكي عروسة سكرةةةةة هيهيهي

ابتسمت تلقائيا لتلك الكلمات ولم تكن هي المرة الاولى التي أحضر فيها حفل مثل هذا أو
أسمع كلمات مثل تلك،

لكني تخليت أن أحمد ينظر لي يتسم من خلف الستار، ومنذ تلك النظرة وأنا أعد نفسي
بذلك اليوم القريب،

وانتظرت كثيراً ومازلت أنتظر منذ ذلك الحين.



(٨)

●●● ٧ نوفمبر ٢٠٠٩ ●●●

6_02 pm

-هههههه تعالي هناا عايذة اجولك حاجة

-في ايه يا سماح، هههههه بتبصيلي كده ليه

-،،،

-سمااح،

-،،

-،،

انحسر الضياء وانبعث الظلام قادمًا من مخارج عيناها وانفها ليكسوالبقعة المتسعة المتبقية من الضياء وتبدل، لأعجز عن الحديث والاستفسار، وليعجز عقلي عن التفسير.

ذلك الشعور عندما تعرف أنك تحلم، لكنك تصدق ما ترى وتتناقض داخليا بقدر صعوبة الاستفسار في تلك اللحظة.

لم أستفق بهلع كما يحدث في مثل هذه المواقف،

التصقت بباب الغرفة لأعرف إذا ما عادوا،
لكني لم أجد أحد،

نظرت إلى ساعة الهاتف وجدتها تخبطت الحاجز الثالث لهذا اليوم المليء بالأحداث.

جلست أبحث عن رغبة في شيء أقوم به،
وجدت الرغبة في استحضار صور تلك الغرفة قبل شهر على ما أظن،

حيث كانت ترقد سماح، هنا
بتلك الغرفة،

وجدت احمد ينظر إلي، وجدته أمامي،
كما وجدت سماح ايضا تقف على الجانب الآخر،
كلاهما يمد ذراعه طالبا مني أن أساعده،
أو، طالبا مني ان يساعدي،

انظر لهما، أجد سماح تهترئ، يزداد الظلام القادم من مخارجها،
بينما أحمد، ينظر لي بابتسامة العشاق، يمسك بزهرة حمراء نضرة،
ممتلئة بالأشواك التي تدمي كف يده،
لكنه يكمل ابتسامته ويخفي ألمه،

أنظر مجدداً إلى سماح أجد الظلام قد كسا ملامحها وفي صمتها تطالبني أن أسرع لأتخذ قرار
إنقاذها، بينما أحمد يقترب بزهرته الحمراء بلون دمائه، فهي لم تكن حمراء،

لم تكن زهرة، فلقد سقطت، فاخفتت .
واختفت سماح وتبقى أحمد يقترب مني واخفتت ابتسامته ايضاً ليتسع ثغره أكثر فأكثر،
ويقترب أبطئ خوفاً من هرب كبشه،
لا أستطيع أن أبتعد عن مرماه،
لكن الطريق بات يضيق أكثر فأكثر،
وظهرت سماح بعيدة بملامحها المختفية تبكي وهي تنظر لي بغضب شديد،
ثم تحولت نظرة أخيها الى الغضب لزيادة دمائه التي باتت تكسوقدماي.
الصمت، ثم فزع جعلني أستيقظ من جديد لأجد نفسي خارج الغرفة بل وجدت نفسي اجلس
على ذلك المقعد منذ قدومي ولم أتحرك،

ذهبت لأتأكد من شيء، وبالفعل وجدت أن تلك الغرفة قد ظهرت لي بتفاصيلها في منامي
برغم أنني لم أقطنها قط!

سمعت رنين هاتفي المقترن باهتزاز جسدي لاهتزازة،
وجدت رقم أحمد لعله يخبرني ما حدث وما سيحدث.

-ايوة، انتوفين!

-بصي، بسرعة عشان زمانهم نازلين ورايا

انا قولتلهم إنك استأذنتي من أهلك عشان تسافري معايا تشوفي سمااح

المهم لما يجوا تحكيلهم كل حاجة عشان يعرفوا إني مضحكش عليهم
 -وهوده وجته يعني! المهم جاين ميتي!
 -أهم سامعهم نازلين مسافة السكة ونكون عندك يلا روجي انت،
 - . . .

أصبحت أفكر أكثر في فكرة إخبارهم بالأمر!
 وأن أضيع حق سماح في التعبير عن حريتها.

تساءلت، ماذا لو كانت صديقتي تقف أمامي الآن ماذا ستخبرني،
 كيف ستنظر لي!

وفي تلك اللحظة استحضر عقلي رؤيتها في هذا الحلم اللعين، وكأن عقلي أراد ان يخبرني بواقع
 إجابتها.

الزخم!

بات يسيطر من جديد، وبين تنقلاتي الكثيرة في هذا البيت العريق لقدمه،
 سمعت اصوات تقترب أكثر فاكتر من باب الدار،

ثم فتح الباب،

لأرى وجوههم، وقد بدلها السفر كثيرا،

جميعهم أتوا، باستثناء سمر وسماح!

-ازيك يا نااهد وازي أمك!

-ازيك يا خالتي، امي كويسة، ازي سماح عاملة ايه انهاردة، قلبي عندك عرفت الي فيها مكذبتش

خبر قولت لازم اجي اشوفها

-فيكي الخير يا حبيبي، ادعيها يا ناهد

البت رايحة فيها خاالص، وتعبنا من مشاوير المستشفى والسفر،

حينها قاطع الحاج عوض الحوار متسائلًا،

-اومال ابوكي رجع داركم يا بت ولا لسه!

ارتبكت قليلا لكنني عدت لصلب نقاشي من جديد،

-ااه رجع، منا عشان كده سيبت أمي معاه وجيت

-هوانت مش جولت يا أحمد أن أم ناهد جات معاكم وراحت تزور اختها وهتعاود علينا!

وجدت زمرة دمانه تتصاعد لتبلغ نواحي وجهه،

ثم نظر لي طلبا للإجابة ثم استدار مجددا،

كأنه يدعو الوقت للمضي للخلف وللأمام،

فقط يتمنى أن تنقضي تلك اللحظة،

عم السكوت، ثم شعرت أنه وجد الإجابة!

-لأ، احنا سافرنا لوحدنا بس هي جاية كمان كام يوم هتشوف اختها وهتعاود علينا!

شعر أباه بمدى الكذب، في نظرة ساخرة نظرها لابنه، ثم وجه مرمى عيناه نحوي
ليطلق سهامه من جديد.

قالها وهو مبتسم!

-يعني انت جاية مع ابني لوحدكم يا ناهد؟!!

كان يسأل سؤاله ويعرف إجابته لكنه أراد ان يسمعها من صاحبي الفعل ليجزم بحدوث هذا
الأمر.

-اه يا حاج اصلي كنت عايزة اشوف سماح،

-وابوكي سابك تسافري مع راجل غريب هههه؟!!

كدت ان أرد حديثه بإخباره ان ينظر لابنته أولاً قبل أن يخاطبني ويطعن في شرفي،

-احمد مش غريب ياعمي، أحمد هيخطبني

نظرت زينب وزوجها الى أحمد كأنهم ارادوا قتله، ذلك الأمر أشعرنى أنهم لم يعرفوا بعلاقتنا من
قبل وأنه كان يكذب عندما قال لي أنه فاتح أباه في علاقتنا قبل أن تثار المشكلات في دارهم.

لم يرد على قولي، فقط وضع ما بيده من ثقيل الحقائق أرضاً وخفيها على الطاولة وهم بانتشال ثقل كوفيته، ذلك وهويتابع سيره نحو غرفته.

بينما تابعت زينب التحديق بي أكثر وأكثر حتى دفنت وجهي بالأرض خوفاً من نظراتها، ثم حدثتني ساخرة وهي تنظر لولدها،

-مبروك يا عروسة، ابجي اعزمينا ع الفرح

يلا يا محمود خش جوا

وانت يا حلوة اعلمي حسابك هتبيتي في اوضتي معايا،

ثم تبدلت من السخرية الى الغضب في حديثها الي بكرها،

-وانت يا رايه هتنام على سرير ابوك

ومن الصبح تصحى بدري عشان تروح مع ابوك المستشفى وبعدين نشوف هيعمل معاك ايه

-انتووديتوا العفش فين؟!

-عند حد معرفة تبع ابوك،

-انتوخلص هتسيبوا البلد، يعني مش هترجعوا تاني؟

- لما نشوف اختك جلابة المصايب دهي، اكيد امك شمتانة فينا يا ناااهد، قوليلي حكيت

لميين وميين؟

ذهبت خلفها اتابع سيرها المشيب.

تقضي سيرها تهمهم عند نزع أي قطعة من ثيابها، عند نزع وخاذ، أوحى عند نزع حذائها القديم

—يا ابا يا ابا، بببب، ياباااياا

مش قادرة مسامير في رجلي يااا بت

من الصبح واجفين على رجلىناا

أستمع لحديثها القروي بأعين مواربة، أهز رأسي أعلى وأسفل أملاً في أن تغلق فاهها المشرثر
انتظر غطيظها لكن الأمر قد زاد عن حده حتى مكنتني من أخذ مقعد لمتابعة مهمتها وإزعاجها،
لكن كبر سنها أجبرها على النوم فور أن وضعت رأسها.

ظللت في مقعدي كان قد رحل النوم بعد أن اكتفى وانتظر أن يتملكني صوت آخر،

حتى جذبني صوت ضوضاء هادئ في غرفة أخرى،

تخلت عن مقعدي في تلك الأثناء وذهبت خلف هذا الصوت وكان من السهل تحديد هويته

فالييت انقسم الى معسكرين أحدهما في غرفتي والآخر بغرفة أحمد وعوض

وكان عوض هو المتحدث،

—انا جولتلك تيجي اه، نكدب على سمر اه، لكن مجولتلكش ابدان ان تجيب البت دهيه وياك

—واني اعمل ايه، شبطت فيا وهربت من ابوها،

-يخربيت أهلك، انت جايلي واحدة هربانة، بتلبسني مصيبة فوج مصيبيتي

واتضح حينها أني جزء من خطة متكاملة قد دبر لها عوض وابنه،

لم أصدق آذاني فذلك لم يكن يخطر أبداً بذهني،

وأكملت سماعهم،

-يا بابا وانا اعمل ايه بس، وبعدين أنا حسيت انها الي هتعرف تلين دماغ سمر وتخليها ترجع عن

الي في دماغها، ولوبنتك الملعونة دهيه فاجت ممكن ناهد تتكلم معاها هي روخرة

-اما نشوف اخرتها ايه وياكم، وروحت تجولها إنك هتخطبها، يا خايب

انت مش راجل يا واد انت ولا عمرك كنت تشبهلي

-يا بابا بس متجولش كده، ده كان كلام فض مجالس، عشان اخلص من زنها

وكمان انا مرسيتها على خطة تعملها وهتساعدنا،

بكرة احكيلك ع الي فيها.

لم أفاجئاً أبكي عند سماعي لذلك،

فلم أشعر بجديته في يوم من الايام، لكنه لا يجروء على الزواج من غيري الآن،

لا أعرف لماذا لكنني متأكدة من أنه في وسط كل ذلك الجبروت المتعجرف يقبع بداخله شخص جبان وضعيف يخشى الفضاء وعلو الصوت.

عدت إلى الغرفة بعدما سمعت حديثهم وقد علمت ان مجيئنا إلى القاهرة كان مخطط له من قبل أن تطلب سمر ذلك،

لكن لماذا يخطط أحمد وأباه لكل ذلك؟

وإذا كانت المياه صافية بينهم،

لما هرب أحمد في القرية وترك اهله!؟

ربما هذا كان متفق عليه ايضا.

تركت كل تلك التساؤلات وعدت من جديد إلى غرفتي، لم اقطن سريري في تلك المرة بل فضلت المكوث على ذلك الكرسي المبطن.

ظللت أنظر الى أم سماح وقد غلبها النعاس وبدأت تصدر ضجيجها المتوقع من سيدة ريفية في مثل سنها، يتمدد بجانبها محمود.

ورغم محاولات هذا الطفل في صنع شخصية تشبه شخصية الكبار وخصوصا المتشدد منهم،

إلا أن النوم يعيد الانسان لهيئته التي خلق عليها،

ينزع من ملامحه قسوته وتكفله الذي صنعه بمساعدة البشر،

وكان ذلك الطفل مازال طفل، في رقة هيئته وطيبها.

لم أستطع أن أقاوم النوم ولم يكن لي دافع لفعل ذلك، فقط تركت نفسي لصراع أحلامي التي
توعدت عليها،

وكانت احلام تلك الليلة غريبة وكثيرة،
لكني لم اتذكر منها اي شيء،

سوى حلم واحد قصير،

أرى في الافق البعيد حيث الظلام،
شاب وفتاة يتشبث كل منهما بالآخر،
بل يحتضن كل منهما الآخر، وأنا أحاول أن أتبين من هما، أتبين ملامحهما،
لكن شيء ما كان يعوق حركتي حتى ابتلعهما الظلام دون أن اتعرف عليهما.

وبذلك تزداد أحلامي عديمة المعنى لذا لم أكن أعطي انتباه لها،
ولكن صوت ما ساهم في ايقاظي تلك المرة،
كصوت خلخلة أو ما شابه،
نظرت الى باب الغرفة بعيون مغلقة تقريبا،
وإذا بسمر تنظر من فتحة مناسبة في الباب كأنها تتأكد اننا نغوص في النوم.

ظللت لفترة ماكنة بسريري وقد استفتت تماماً،

وظل الفضول يداهمني حتى تمكن من عقلي وأجبرني على ترك السرير والخروج بداعي التوجه لشرب الماء من الخارج.

لمحت عيني سمر وهي تغلق باب غرفتها ولم تلحظ خروجي،
تعمدت ان أحدث جلبة لعلها تسمعني وتخرج فتشاركني سمر الليل.

لكنها خرجت من غرفتها قبل أن أشرع في فعل أي شيء.

-ناااهد!

انتي لسه منمتيش كل ده؟!!

-اصلي كنت نايمة لما سبتوني انتي وأحمد ومجدرتش اعاود للنوم تاني

-ولا يهملك، اتعشيتي؟

-اه، كان معايا بسكويت جنباه من المحطة كلته من شوية، متشغليش بالك.

-لا لا، تعالي هنعمل أكل وشاي ونقعد نتكلم شوية

لم أرد، فقد فعلت سمر ما كنت أريده وأكثر دون أن أفتح فمي بكلمة،

وبدأت في تحضير طعام العشاء وكان مختلفا بعض الشيء عن العشاء في قريتنا،

باستثناء شيء واحد!

-ناوليني كيس الفول، هتلاقيه في باب التلاجة

كانت سريعة، دقيقة، نشطة وليست متكلفة كما ظهرت في أول لقاء جمعنا صباحاً،

وبعد أن انتهينا من ذلك، توجهنا إلى غرفتها طلباً منها ورغبة مني!
تحمل صينية عريضة بها الطعام، وأحمل انا صينية صغيرة لا تتسع سوى لكويين من الشاي.

-بصي انا مبحش أعزم، كلي براحتك، متتكسفيش

كانت هي المرة الأولى التي يخبرني فيها أحدهم بألا أخجل، فدائماً ما كانت تطلب مني أمي
أن أدخر دماء لحمرة وجهي،
وها قد فعلت .

-انا مش عيزاكي تكوني زعلانة مني يا ناهد عشان الي حصل بينا الصبح
انا عارفة إن في علاقة أومعرفة بينك وبين أحمد ومش غريب انكم تيجوا مع بعض
بس العادات في القرية عندكم بتصعب ان بنت تسافر بره بيتها لوحدها، فما بالك مع راجل مش
مرتبطة بيه... عشان كده كانت مفاجأة ليا بس

-عادي مش زعلانة من حاجة وحقك تفكري كده، أنا نفسي كنت مش عارفة راسي من رجلياا
ومكتش عارفة اجي ولا لأ

بس لما حصلت خناجة فبيتنا وأبويا بهدلني جولت اني مليش مطرح غير عند أحمد وجيت معاه
وخلص

-ولا يهملك، فكك بقي من الكلام ده خيلنا نحكي في حاجة تانية

كان في البداية سرد رتيب للأحداث نحاول ان نضيع الوقت بمليء الهواء بذلك الملل،
وتابعت ذلك بأسئلة متوقعة عن أسرتي وحالنا بالقرية،
كيف نأكل ونشرب، كيف نبيت، كيف نقضي يومنا!
ولم يتبقى لها سوى سؤالي عن كيفية قضاء حاجتنا!

ثم انتقلت إلى نوع آخر من الاسئلة التي لم تكن بقدر رتبة النوع الأول!
اسئلة عن سماح و علاقتي بها منذ عاهدتها مراراً بالماضي حتى الماضي القريب قبل أن تنتقل إلى
القاهرة.

ثم تطرقت إلى علاقاتها العاطفية النادرة جدا!

-انتي متأكدة انها مكنتش بتحب حد هنا ولا هناك؟!!

-ولا عمرها حبت خروف حتى! دي كان خلجها ضيغ ومبتعرفش تتكلم، كانت بتأخذني معاه
في كل حنة عايزة تروحها

-تجدري تجولي كده! كانت تيجي تجوولي انا بحب فلان وبحب علاان وهي مبتعرفش تكلم
عيل صغير حتى

بس في الآخر بجت غريبة وبتجولهم في الدار انها جيالي ومبتجيش
وكنت بداري عليها كثير، بس طلعت في الاخر ماشية مشي بطال!

-وانتِ عرفتي منين انها بتعمل حاجة غلط، يعني عرفتي منين إنها على علاقة بحد!

حينها تلعثمت لكني لم أظهر لها حالتي في تلك اللحظة،

-حسيت في الأول وبعدين شوفتها مرة مع جدع كده! كده مرة وبتروح معاه بيت كده
بس مرضتش اجول لبيتهم عشان متحصلهمش مشاكل

كانت معالم الدهول قد غمرتها ونالت منها، لم تتوقع سماع ذلك ولم أتوقع أنا أن أخبر أحداً
بهذا الحديث عن سماح صديقتي ورفيقتي،
شعرت أن سماح تنظر إلي وترمقني بنظراتها الحزينة المندهشة.

-أكيد سماح مجنونة عشان تعمل كده وفي الآخر تيجي وتحكي لي انها بتحب واحد تاني!

-من الآخر يا ست سمر، سماح قالتلي بلسانها انها عملت كده!

-سماح قالتلك انها على علاقة حرام مع الراجل ده!؟

رغم أنني أخبرتها الإجابة مسبقاً، لكن لساني تعفف عن الكذب مجدداً للحظات وصمت ثم رد
سؤالها بعد ذلك!

—أيوة،

انغمرت سمر في اندهاشها وحزنها وغضبها أيضاً،
ومرت ساعات على جلوسنا سوياً حتى ارتفع صوت آذان الفجر، وحينها طلبت منها أن أذهب
لأخلد في فراشي فقد أرهقني الحديث،
ذلك قبل ان أسمع صوت حركات عبثية بالخارج.

—سمر يا بنتي، انت لسه صاحبة!

حينها خرجت سمر وخرجت خلفها،
—اه يا عمي كنت بتكلم شوية مع ناهد وهننام اهوه!

حينما رأني بجوارها استشاط غضباً كما وضح في عيناه المحاطة بالسواد والممتلئة بالغضب

—وانت ايه الي لسه مصحكي يا بت انت لحد دلوجتي، الوجد اتأخر خشني انجري نامي جوا

ركضت الى غرفتي مسرعة، أعرف ما يفكر فيه وما يخاف منه ذلك العجوز الهرم!

●●●●●●●●●●

(٩)

●●● ٨ نوفمبر ٢٠٠٩ ●●●

2_00 pm

كان صباحا مميزًا، فلم اسمع صوت أمي تعنفني بقصائدها،
بل استيقظت على صوت سمر، وبدا المنزل خالي من ضيوفه،

-أومال هما راحوا فين!

-ياااه، دوول نزلوا من الساعة تسعة أوتسعة ونص، راحوا لسماح زي كل يوم

-ماخدونيش وياهم ليه!

-ما ام سماح كانت بتصحكي عشان متقعديش لوحك في البيت، بس انا قولتلها تسيبك نايمه

وانا هصحكي وتنزلي معايا بعد ما ارجع من الكلية!

-طب وهترجعي من الكلية الساعة كام!؟

اقتربت خطوتين نحو سريري وأخففت رأسها وهي تحديق بي،

-صباااح الفل، انا نزلت ورجعت، قومي اجهزي عشان ننزل

تعجبت كثيرا من قدرتها على الموازنة بين النوم المتأخر والاستيقاظ المبكر والذهاب الى الجامعة
أيضاً!

ذهبت كما أمرتني، وبدأت أغسل وجهي وأرتدي ملابسني،

-يا لانا عشان الوردية بتاعتي الساعة خمسة.

كانت سمر هي من تصرخ بتلك الجملة!

-وردية ايه، انتي بتشتغلي!؟

-هههههههه.. لا قصدي يعني انا قسمناها انا وعمي ورديات

هما بيعدوا معاها من الساعة عشرة الصبح لحد خمسة المغرب، وانا من خمسة لحد عشرة بليل،

-طب لما هو المفروض نبقى هناك الساعة خمسة

ليه هننزل من اتنين ونص ونتسريع!

-لا لا لا معنديش وقت للكلام ده، يلا بسرعة البسي واحنا بنتكلم

جذبتي من ذراعي نحو الغرفة،

-بصي قبل ما نروح لسماح هنعدي على مطعم محندق كده هنتغدى هناك وبعدين نبقى نروح

فهمت وجهة نظرها وقد أخبرتني ان الطرقات ليست ضيقة قصيرة مثل طرقات قريتنا،
وأنا سنأخذ الكثير من الوقت في الزحام المروري.

ثم بدأت في إخباري بعض التعليمات،

-عايزاكي تعرفي ان المرض الي عند سماح ده من أصعب الامراض الي ممكن تيجي لشخص
هتروحي هناك وهتشوفي بنفسك قد ايه الممرضات بيقرفوا يدخلوا لسماح اوبيخافوا بمعنى أصح،
عشان كده قسمنا نفسنا ورديات عشان نديها العلاج ومتتعيش أكثر،
مهما كان الي عملته سماح غلط، افتكربلها انها صاحبتك

كنت انا الوحيدة بتلك الغرفة التي أعلم أنها لم تخطئ قط وأني السبب في نشر تلك الصورة
السيئة عن صديقة طفولتي،

ليتي أستطيع العودة للخلف حتى ألفظ تلك الكلمات التي أخبرتها لسمر قبل ان أكذب بها

بينما أكمل ارتداء ملابسني، سمعت رد سمر على هاتفها وتلصصت السمع من خلف الباب

-لا يا نورا شكرا أنا نزلت خلاص. هروح اتغدى واطلع على سماح، شكرا
قولتلك إني مش زعلانة من حاجة والله، معلى هقفل عشان الموبايل هيفصل، باي

ظهرت ملامح الضيق والتأفف ولم اسألها عن سبب ذلك لعدم وصولي لتلك المرحلة من التطفل حينها،

فقد رحلنا وقد اتخذ الطريق الكثير من الوقت حتى أصبحت الرابعة إلا سبع دقائق تناولت ما طاب لي من الطعام بينما تتناول سمر في عجلة كأن أحدهم يريد اللحاق بها،

وفجأة،

توقفت عن كل ذلك بينما كانت تنظر الى زجاج المطعم، تنظر نحو سيارة في الخارج تنحدر منها فتاة شابة في مقتبل العمر،

في مثل عمر سمر،

يغلب التوتر على مظهر تلك الفتاة يقابله توتر مثيل على مظهر سمر.

دخلت هذه الفتاة وقد رأيت سمر ثم بدأت بالحديث بمجرد ان وصلت لنا.

-ازيك يا سمر، مكنتش اعرف ان معاكي حد

-دي ناهد، جارة سماح

قامت بتحييتي بخفض راسها، كأنها اشمئزت من تحية اليد!

-ممکن اتکلم معاکي يا سمر،

-نورا، مفيش حاجة بينا انا مش زعلانة منك في حاجة صدقيني

-لأ يا سمر في، أنا متأكدة، انت اتغيرتي فجأة من ناحيتي، مش عارفة مالك

،-

تابعت سمر طعامها بينما ظلت صديقتها التي دعته "نورا" بتحديق النظر دون حديث ثم استدارت تنظر خلفها واكملت حديثها.

-طب انا كنت عايزة احكيك على موضوع كده!

حينها قامت سمر من مقعدها وفعلت أنا مثلها وأنا أنظر لكلاهما في دهشة!

-لا معلىش أنا متاخرة جدا مضطرة امشي دلوقتي عشان الحق سماح

-ماشى هوصلكم،

-لا شكراً، السواق بتاع بابا هيوصلنا

ظهرت دموع نورا بكثرة ولكنها اخفتها سريعاً واخبرت سمر ان تعاود الاتصال بها عندما تنتهي من اشغالها،

ظلت تنظر سمر الى نورا وهي تغادر المطعم ثم غادرت الشارع بأكمله في سيارتها،

حينها عادت سمر من جديد إلى مقعدها في المطعم وانفجرت عينها من شدة البكاء،

ورغم عدم معرفتي الكبيرة بها،
 إلا أن مشاعري انفرجت عن آخرها، كأنما ارادت الاتساع لهذا الكم الهائل من الألم
 ولم اعرف هذا الألم حينها.

لكن لغة الدموع دوما ما تخاطب المشاعر دون وسيط، كلاهما "الدموع والمشاعر" يرتبطان برابط
 واحد، الألم وما رافقه من حب أوقسوة.

مضينا في الطريق القصير إلى سماح وأسرعنا أكثر عندما تلقينا اتصال من الحاج عوض ينبئنا بأن
 نسرع لأنه سئم من الانتظار!
 انتهينا من الطريق ووصلنا أخيراً
 كانت سمرتمضي في طريقها نحو سماح بينما طريقي كان مختلفا الى حدا ما،

-أحمد،

-تنكم ما افكرتم تيجوا،

-معلش يا سمر اسبجيني انتِ وانا هاجي وراكي، هجول لأحمد كلمتين

-طيب، ابقي رني على رقمي لما تخلصي اجي أخذكعشان مش هتعرفي الأوضة

-ماشبي،

كان أحمد يدخن سيجارته بشراهة، بينما اتوجه ناحيته.

-عايزة اجولك كلمتين،

،-

-انا عملت كل الي طلبته مني مع سمر،وقولتلها كل الي انت قولته ليا

-شاطرة يا بت،

استدرت لأقف مباشرة أمامه ورمقته بنظرات ساخطة.

-ياخويا مش مستنية تجولي شاطرة ولا خايفة،أنا مستنية الي اتفجنا عليه جبل ما نيحي المخروبة

دهيه

-آه،

-اتعدل يا احمد وسيب السيجارة دي من يدك

انا سايبة أمي وبيتنا والبلد وجاية وياك عشان أخرب على أختك، كل ده عشان مين ماهوعشانك،

خسرت أمي وصاحبتي عشانك

وأنت مبتوفيش بوعدك

-استهدي بالله بس كده، كل حاجة هتتحل بأمر الله، نخلص من حوار سماح بس ونرجع كلنا

البلد ونتجوز

اونتجوز في مصر يابت وتجيبي أمك تعيش هنا

-أحمد كفاية ونبي كذب، انا سمعتك امبارح مع ابوك وانت بتتكلموا عليا

وانه مكانش عايزني اجي معاك،وسمعتك وانت بتقوله إنك بتسجدني بكلمتين عشان تعملوا

تمثيلية على سماح وإن أبوك هوالي خلاك تيجي هنا عشان هوخايف من بنت عمك لتبلغ

الحكومة وأختك تتجرس

عندما سمع ذلك اطفئ سيجارته واخذ نفس عميق ليتمكنه من كسب وقت يفكر فيه فيما سيرد ويخبرني،

- انا منكرش ان ابويا هوالي خلاني اجي مصر، وكمان هوالي مخليش اجي معاهم من الاول عشان سماح تحس انهم غضبانين عليا

بس لما جولت لابويا اني بسرح بيكي، كان عشان اضحك عليه هو وميعملناش مشاكل اول ما نخلص موضوع سماح، هطلب يدك وساعتها ابويا ميصدرش يتكلم لأنني هكون عارف سره ونفذت الي طلبه، عايزك تظمني ومتبجيش خايفة علطول كده

- اسمع كلامك يا أحمد اصدقك،

ذهب مع والديه إلى المنزل بعد أن دلني على طريق غرفة سماح وأعطاني كافة الإرشادات اللازمة لراحة سمر وسماح،

ذهبت حيث توجد الغرفة، ولجت إليها بعد أن طرقت بابها برفق ولم أجد إجابة، لا أعرف أكان ذلك لأن صوت الطرق منخفض ام لأن الغرفة خالية.

لكني نظري وقع بين اللحظات على سماح تمكث في سريرها ولم تتعرف عليها عيناى وتعرف قلبي، تتدلى من أنفها وأذرعها الخراطيم الطيبة،

على جانبها توجد سمر منهمة في تحضير شيء ما لا اعرف إن كان دواء لسماح أم شيء آخر

فأكثر ما جذب انتباهي أن سمر كانت تتحدث لأحد في الغرفة بصوتها المنخفض الى درجة لا تسمع،

-ومش قادرة اصدق،

تلك هي الجملة الوحيدة التي التقطتها أذناي.

-سمر، انا جيت

نظرت إلولم تكن قد لحظت قدومي!

-اه، ناهد نسيتك معلش، عرفتي المكان لوحدك!؟

-لا ده خالتي ام سماح دلتنني،

-شاطرة،

كانت تتحدث معي ولا تنظر الى جانبي، ذلك لانشغالها

-بعرف ادي حقن على فكرة!

-بجد، طب ساعديني بقى،

التقطت منها تلك السرنبجة ولم أعرف ما اقتربته من خطأ في تلك الأثناء كي تثار سمر الى هذا الحد!

-بتعملي ابيبيبيبيبيه يا ناهد اي الهبل ده!
 -بسرخها، عشان تطهر، انا كنت بدي حقن في المستوصف في البلد مش اول مرة يعني!
 -الكلام ده في البلد، هنا الحقن مبتسرخش.

عادت الى اترانها بعدما افزعت ما تبقى لي من اعصاب في هذه البلدة الغريبة،

ومضت الساعات بطيئة تتسارع كلما نظرت الى سماح، اشعر بروحها تنظر إلي في استهجان وألم
 ومعاناة ...

ماذا ستخبرني عندما تعلم بما قلته وبما كذبت به،

شعرت بنسائم الخريف كأنها تلاحق سابقاتها، متأخرة، لذا تتابع بسرعة،
 وتتسابق على جسدي وتشعري بصقيع تستلذه مسامي،
 ما أصعب أن تهجي روحك وتدمها بما ليس بها من صفات "وان كان بها".
 فأنت الشخص الوحيد الذي يعلم أنه بداخلك يقبع طفل برئ يحب الخير وينشره ويريد الشعور
 بالأمن والطمأنينة تكتنفه،

لكن عليك ألا تنسى أن بجانب آخر يقبع ذلك المجرد من الاحاسيس والوفاق النفسي.

ولقطع وتيرة الملل تلك، قررت ان أبادر بزمام الحديث،

-هما الدكاترة مجالوش هتفوج امتي من الغيبوبة دهيه؟

-محدث عارف، هي بين ايدين ربنا دلوقتي، كل الي نقدر نعمله اننا نندعيها

ناهد ممكن اسألك سؤال؟

-ااه طبعاً اتفضلي،

-انت شايفة سماح ايه في نظرك دلوقتي، يعني لسه بتحببها زي زمان ولا كرهتها بعد الي عملته

كان الحديث بشأن ذلك يشعل لهيب الدمار بداخلي ويأنب ضميري ويعذبه على فعلته النكراء،

-لا، اكيد مش نسيالها انها صاحبتني من زمان واختي والوحيدة الي طلعت بيها من الدنيا،

انا عارفة انها غلطت، بس اكيد كانت بتفكر فحاجة قبل ما تعمل الي عملته!

-انا كمان بفكر كده زيك

انها اكيد ليها ظروف واكيد جواها حد كويس

كانت في تلك الأثناء تمشط شعر سماح بحنان الأخت الكبرى التي تأتي أن تصدق شيء سيئ

عن أختها الصغيرة،

ونظرت لها، أبتسم ولا أضحك، احتراماً لحنان ذلك الموقف الرائع.

غادرنا بعد ساعات إلى المنزل من جديد وقد أنهكتني أحداث ذلك اليوم الطويل،

ولم أعلم أن رغبتني الملحة في النوم ستنتقضي دون أن أنام في هذا الليل الطويل.



(١٠)

●● ٩ نوفمبر ٢٠٠٩ ●●

12_04 am

أطراف النهار، تعكس زرقة منطفئة في عنان السماء بتلك الاثناء الأولى من الصباح

تقل الادخنة والعوادم في سماء المدينة في ذلك الوقت تدريجيا حتى تبلغ ذروة النقاء في دقائق الشروق.

لهذا دائما ما أحببت الاستيقاظ مبكرا في بلدتي وإن قلت السيارات في قريتي إلا أن نقاء السحر له أثره على النفس.

ذلك ايضا ما دعاني لأختلي بأفكاري نحو الشرفة،

لإيجاد ما افتقدت من نقاء منذ قدومي الى هنا،

أفكر فيمن خدعني وبواصل خداعي امام مرأى ومسمع عقلي ...

وبينما أنا أفكر دعنتي سمر بصوتها الرقيق في ذلك الوقت الى قطع أفكارني والنظر اليها

-منمتيش لسه يعني!

-دنا هموت وأنام ومش عارفة، قولت أجي اجف في الشباك شوية اشم الهوا

-وانا كمان مش عارفة انام ...

وجدت الفرصة سانحة أمامي كي أعمق أواصر العلاقة بيننا.

-ممكن أسألك على حاجة؟ ممكن أعرف ايه الي مضايحك لومكتيش تمانعي يعني!

ابتسمت ثم أكملت حديثها ...

-لا لا معنديش اي مشكلة، انا يا ستي بفكر في مشكلة حصلتلي من كام يوم خليتني مش مصدقة نفسي لحد انهارده ان حاجة زي كده ممكن تحصلي،

تقدمت خطوة نحوها لزيادة الثقة بيننا،

-مين البنت الي جاتلنا في المطعم؟ وليه عيطي لما هي مشيت!؟

-دي صاحبتني أوالي كانت صاحبتني "نورا"،

ليه كنت بعيط، انا بعيط علطول أصلا هههههههه بس في اللحظة دي كنت بعيط لسبب معين،
موضوع كبير اووي

قالتها وهي تطوقني بإحدى ذراعيها وتنظر إلى القمر كأنما تتأكد من استمرار وجوده في موضعه
بالسمااء ...

-عايزة تحكي لي ولا مجيلكيش نفس؟

-انت زي اختي واكيد معنديش مانع احكيك،

اكملت الحديث وهي تغلق النافذة وتقودني نحو غرفتها!

-انتي بتحبي احمد بجد؟

كان سؤالها غريب واجابته متوقعة، لكن إجابتي فاجئت شخصيتي

-معرفش، هو آه بحبه

بس عشان اتعودت عليه من زمان، معرفتش غيره!

-انا بقى حبيت شخص، كنت بشوفه من بعيد بقى هموت واكلمه من قبل ما اعرفه

حسيت اني حبيته لمجرد نظراتنا لبعض، كان نفسي ابقى معاه من قبل ما اعرفه

وفي يوم وليلة بقينا قريبين اوي لبعض

سنة والتانية والتالثة وبقينا مع بعض

بشوف عيوبه ويعرف عيوبي، كنا بنختلف كتير

كنت بحس دايمًا بإحساس غريب

إحساس مش مصدقة لحد دلوقتي انه كان صح

إحساسي اننا مش هنبقى لبعض

كنا قريبين وبعاد عن بعض، كنا بنخاف على بعض واحنا مش بنزعل لزعل بعض

كنت حساه هامش، مش هزعل لواختفى بس هفتقده اكيد

كان حديثها مثيرا لكني تذكرت أني لم اسأل عن حبيبها!

-وايه علاقة كل ده بصاحبك؟!

-مممم، نورا بقى، نورا اعرفها من واحنا عيال، كنا مع بعض في مدرسة في درس وفي كل حاجة حتى كنت فاكرة إن بابا اتوسطلي عشان ينقلني فصلها لأن حروفنا مختلفة كنا ومازلنا قريبين من بعض

كانت قريبة في كل حاجة إلا موضوع ماجد الي كلمتك عليه دلوقتي مكانتش بتحبني اتكلم عنه كثير وكانت بتتجاهل سؤالي عن اي حاجة خاصة بيه كنت بحس بحاجة غلط بينها وبين ماجد

لحد فترة قريبة ماجد قالي انه عنده المرض الوحش، حسيت إنني متعاطفة معاه اوي اكثر من اي حد، بس لسه مش عارفة احبه!

وبعدين عرفت انهم على علاقة حب ببعض وانهم مش عارفين يعرفوني ازاي عشان ميبحر حوش مشاعري، وطلعوا عاملين عليا تمثلية، وانه مش عيان ولا حاجة

مممكن اسألك سؤال؟

- اياه اسألي،

-لوصحيتي الصبح عرفتي ان احمد هيخطب صاحبك، هتعملي ايه؟!

نظرت متحيرة لا أجد إجابة لذلك، ماذا سأفعل حينها وماذا فعلت هي!

لم أجد إجابة ولم أعرف ماذا سأخبرها

-هقتله،

-وصاحبتك؟

-لوهي عارفة ان الجدع دهوه بيحبني وعلى علاقة بيا وخطفته مني يبقى متستاھلش اني اعرفها
تاني، حتى لوصاحبتي من بعيد

-انا بقى معملتش كده،

علاقتي بنورا قوية جدا، أقدم من ماجد واقوى من علاقتي الوهمية بماجد

مش هقدر اخسرھا عشان شخص زي ده

ومش هقدر اشوفها نفسها فحاجة واطمع انا فيها

طالما انا مش مرغوبة، يبقى كرامتي فوق اي حد

بس ساعات بنيجي عند ناس معينة ومبنقدرش نسيطر على نفسنا وعلى القوانين الي حطينها

لشخصيتنا معاهم!

وكمان مش عايزة اخسرھا عشان خايفة أبقى لوحدي.

-انت طيبة اووي يا سمر، وهي قالتلك على الموضوع ده؟

-لا بس هتقولي وهسامح، دي أقرب حد ليا في حياتي الي مبقاش فيها حد من بعد موت بابا،

امتلات عينها بالدموع ولكنها حافظت على ابتسامتها رغم ذلك، تأبى أن تظهر بمظهر الضعيفة

خلف دموعها، إن كانت الدموع ضعف.

أصبح الجميع غارق في نومه ولم أجد مفر من هذا الهدوء سوى بالنوم .

ولم اعرف كم قضيت من النوم إلا أنني أتذكر ذكرى سياج زجاجي أراه في أحلامي لأكثر من أسبوعين ولم أفهم معناه أو سببه حتى الآن.

ككثير احلامي،

كنت أرى ما يوجد خلف هذا السياج، أرى سماح وأراني،

لكن هيئتنا كانت هيئة الاطفال، كنا نلعب سويا في القرية،

أشاهد ذلك من خلف السياج ولا أستطيع الوصول لهؤلاء الاطفال مهما حاولت ان أطلق صرخاتي!

استيقظت مجددا لأجد المنزل خالي كما وجدته الصباح الماضي إلا من شخص واحد،

-افتكرتي تصحي بعد الظهر!

-انت مروحتيش معاهم المستشفى؟!

-اييي *مسم* عارفة ان جعدتي دهيه متجيش على هواكي، ايوة ياختي ماروحتش رجلي مولعة من

امبارح خليت عمك يروح انهاردة لوحده

-ألف سلامة عليكى يا خالتي،

أردت أن أدعي عليها بالهلاك واللعات لطالما ما كرهت تلك المرأة بتفاصيلها وذكرها الكريهة معي،

كلما رأيته تذكرت يوم نادى أمي لتخبرها انها خنت سماح لتسلبها حياتها الطبيعية،

ونصحت أمي ان تفعل المثل ووقتها لم أكن أعرف ماهوالمثل،

عرفته بعد ذلك بستة أيام فقط،

لنظل ذكرى تلك المرأة تداهمني كلما تواجدت معي في اي مكان.

-روحي يا بت ولعي ع الماية واعمليلي شاي لحسن نفوخي هيشت

ذهبت إلى المطبخ أتمنى ان تسرع سمر للعودة من جامعتها وتنقذني من قضاء يومي مع تلك المرأة،

أفرغ الماء في الكوب لأجد حشرة شاردة في الهواء لا تعرف مأوى تلجأ اليه سوى كوب تلك المرأة، كانت تطفوتلك الحشرة أعلى الكوب مما جعلني ابتسم عند رؤيتها تغوص الى قاع الكوب بينما أستمر في التقليب

وكأن تلك الحشرة قد أتت لنتقم من تلك المرأة ولوبجزء بسيط!

-تعرفي يا بت انت مبتفهميش وهبلة بس بتعرفي عملي شاي حلوهههه

،-

وددت الذهاب إلى المطبخ من جديد لأبحث عن المزيد من تلك الحشرات التي اعجبته،
لكني غضبت لما سمعت حينها،

-صحيح نسيت اجولك ان سمر مش هتفوت عليكي عشان هتطلع من جامعتها على المستشفى
علطول عشان هتتاخر في الكلية ومش هتلحج تيجي هنا،

بدى اليوم هوالأكثر مللا منذ جئت الى هنا،

استمع لحديث زينب الفارغ، لا أجد ما يجبرني على تركها والذهاب للانشغال إلى شيء آخر،

لكن ذلك اليوم كان خارج توقعاتي بالتأكيد، وكنت على وشك أن اسمع الخبر الأكثر إثارة منذ

جئت،

-سلامو عليكم،

-وعليكم السلام، جيت بدري يا حاج ولا اني بيتهيا لي ...

،-

لم يرد عوض على تساؤل زوجته،

-مبتردش يعني يخوياا،

-بنتك فاجت من الغيبوبة ...

صمتت زينب وهمت بالوقوف ولم تأبه لما كان على فخذيها من تحضيرات للطعام

-بتتكلم جد يا عوض،

كانت تتضح في عيناها معالم البهجة وعدم التصديق تلمع عيناها بدموع لم تسقط،

-منا فرحت في الاول اني كمان، بس لما رجعت فكرت لجيت ان بنتك لونطجت بكلمة لسمر
هتبجي سودت عيشتنا وعيشة الي خلفونا

-ياخوياا المهم تفوج، هواني مش طايجة ابص فوشها بس بنتي، مينفعش أكرهها.
-هي مبتكلمش! الدكتور جال انها هترجع تتكلم وان ده ممكن يكون بسبب الغيبوبة دهيه
المهم لازم يابت يا ناهد ترجعي مع أحمد على البلد جبل ما سماح تعرف انه جه مصر
-ارجع ازاى يا عمي، ارجع لأبويا بعد ما هربت منه عشان يجتلني،
أني مستحيل ارجع البلد إلا وأنت معانا وجاي تتجدم لابويا يجوز ابنك ليا
انا مش بت بايرة يا حاج ولا أني دايرة على حل شعري

سمعت صوت ضحكة خبيثة من زينب، تلك العجوز الماكرة، قبل ان ينفجر وجه زوجها من كثرة
الدماء التي كادت تتجلط في كل شبر من وجهه،
كان احمد قد تأخر بالأسفل لشراء بعض الاشياء وما ان دخل المنزل حتى انفجر أبيه في وجهه
بدلا مني،

-شوف الي انت صاحبها معاك وانت جاي من البلد، مش راضية تسافر وياك البلد
لوسماح شافتها وعرفت الي جالته عليها هتجرسنا كلنا وساعتها سمر مش هتفضح اختك بس لا
دي هتفضحنا كلنا وتجول اننا جولنا على سماح مجنونة، البت دي هي الي هتجرسنا كلنا
نظر الي احمد لا يعرف ما يود ان يقوله.

-يا ناهد لوعايزانا نتجوز صحيح يبجي لازم تعملي الي ابويا بيجوله
لازم نهرب جبل ما سماح ترجع البيت

كانت نظرة الكذب تغلب ملامحه ككل نظرات كذبه السابقة لذا أحببت ان أصنع الفارق، أن ادير
الدفة ولومرة واحدة.

-بص يا احمد، انا سمعت كلامك كثير، بس المرة دي لأ يا احمد
انا مش خارجة من البيت الا لما ابوك يجي معانا يطلب ايدي عشانك من ابويا زي ما وعدتني
كثير جبل كده،

جذبه عوض من كتفه ونظر إلي في غضب واحتقار ليطلق تهديده،
-انت يا بت انت مش تحت عيلة زيك الي تتحكم فيا، فووحي، لومسافرتيش البلد جبل ما
سماح تيجي هكون مكلم ابوكي يجي ياخذك

كم احببت ابتسامتي في تلك اللحظة، اشعر كأني حاصرت فريستي،
-يوم ما الاجي ابويا هنا هتكون سمر عارفة كل حاجة بعدها بساعة

نظر الي في ازدراء وغضب ثم عاد الي غرفته ليكمل سبابه، تتبعه زوجته المخلصة دوما،
ويقف ابنه المدلل في حيرة لا يعرف ماذا يفعل وإلأى جانب ينحاز!

ومر اليوم حتى عادت سمر ليلاً من امسيته تزف لنا خبر استفاقة سماح من جديد وأنها ستعود لتأكل من الغد كما ظن الطبيب، تغمرها فرحة، لكنها كانت على وشك إخبارنا بتطلعاتها.

-وبما اننا اطمنا على سماح شوية، كنت عايزة اتكلم معاك في حاجة بخصوصها يا حاج

نظر اليها عوض كأنه يعرف في اي حقل ستلقي بذور حديثها، وكانت نظرتة كإشارة لبدأ حديثها.

-انا لما سألتك على سماح والي حصلها

قولتلي انها اتعرضت لحاجة انا مش بحب افكرها

ان حد اغتصبها، وبعدين لما احمد اجى قالي اننا كلنا فاهمين غلط وان مفيش حد اغتصبها ولا

حاجة من دي!

اصدق مين بقى!؟

نظر لها وهولا يعرف كيف ينسق من حديثه

-تصدجي ابني، هو عرفنا ان خالد كان مسافر وجتها السعودية وانه مكانش موجود في البلد

ساعتها عشان يعمل كده،

نظرت له سمر بدهشة كأنها وجدت ضالتها في حديثه،

-بس أحمد قالي ان مي عرفش حد اسمه خالد، وإن كلام سماح كله كذب في كذب!

نظر الأب إلى ابنه، تتقاذف ألسنة اللوم المشتعلة بين عيناها،
ثم تحدث أحمد نيابة عن والده،
- كان قصدي ان خالد الي بتتكلم عليه دهوه ملوش صلة بينا ابدأ،

نظرت سمر لهم، لا تستطيع ان تهضم كلامهما وقد بدأ ساذج
-معنى كده ان سماح كويسة ومحدث عمل فيها حاجة وانها بنت؟!!

-، ياريت نجفل ع السيرة دهيه
انا هجوم انا
وزي ما جولتلك جبل كده اول ما سماح تروج هنشوفلنا شجة نتاوى فيها،

ترك مجلسه وذهب نحو الغرفة، لكن سمر لم تنته من كلامها بعد!
-وجيتوا ليه من الاول يا عمي،

استدار عوض بنصف وجهه ليمنح اذنه اليمنى سيادة السماع،

-اقصد ان حكاية انكم جاينين تقعدوا معايا عشان بابا مات دي متدخلش العقل!
وأحمد مجاش معاكم من الاول، ليه يا عمي أحمد مجاش معاكم من الاول؟!!

أتوقع أنه لم يعرف ماذا سيخبرها في قادم اللحظات المقبلة،

-احمد مجاش عشان دراسته في المعهد،

تقدمت سمر بضع خطوات واصبحت امامه مباشرة،

-بس انا سمعتك وانت بتقوله، (مش كفاية إنك مكملتش دراستك ومبتروحش المعهد بقالك

سنتين)

شوف يا حاج، انا لوعرفت ان حد أذى سماح اوانكم مخبيين حاجة عليا

هبلغ البوليس عنكم، كلكم

قالتها وهي تنظر إليهم جميعا،

لتلقى صفة من يد عوض على وجهها الرقيق،

الذي لم يستقبل صفة بمثل هذه القوة من قبل،

وسقطت أرضا ولم تجد من يلتقطها ويعيدها لغرفتها،

وقد انتهى استجواب عائلة عوض،

ولم اعرف ان استجوابي كان هوالتالي،

وضعتها في فراشها ونظرت لها برفق كاد ينتهي فور خروجي من الغرفة، لكنها نظرت إلي في

محاولة لأمر منها بأن أظل مكاني،

وأرادت ان تعطيني الفرصة لأشيع غمامات السواد من فوق عاتقي.

-انت كنتي موجودة يوم ما احمد قالي الكلام ده

يوم ما قالي ان مفيش حد اسمه خالد

انا متأكدة ان هما بيكذبوا زي منا متأكدة إنك مخيبة حاجة!

قادتني سمر بتلك الطريقة إلى مفترق طرق، إما أن أخبرها بسر دفين لم يعرفه سوى أحمد ومازلت

أدفع ثمن إخباره بهذا السر حتى الآن،

وبذلك سأفقد أمني في العودة لدياري وأنا أرافق زوج،

وإما أن أستمّر في كتم ذلك السر لمزيد من الوقت وإلى حينلم يأت بعد.

-احمد كان جصده ان خالد دهوه مش بيلازمننا ولا بيلازم سماح ابدا وان سماح ألفت الحكاية

دهيه كلها

نظرت إلي دون أن تتحدث لكن عيناها أرادت قتلي، لم أتذكر أن نظري أحدهم هكذا من قبل!

-خلصتي كلامك!؟

كانت الاجابة سهلة، لكن النطق بها كان أصعب ما يمكن،

-ايوة خلصت،

-خلاص تقدري تطلعي بره عشان تعبانة وعايزة انام.

قالتها وهي تبسم ابتسامة خفيفة، لم اعرف معناها إلا مع الأيام التي تلتها
وكانت تلك هي المرة الأخيرة التي حادثني فيها سمر بإخاء.



(١١)

●●● نوفمبر ٢٠٠٩ ●●●

مرت أيام متتالية سريعة عرفت نمط واحد
تغيرت فيها منهجية سمر تجاهي
حيث أصبحت أستقل المواصلات في الصباح الباكر رفقة زينب و عوض وأحمد يومياً إلى
مستشفى سماح
أرى سماح يومياً تنظر إلي نظرات غير مفهومة ولا تروق لفهمي البسيط
وإن قبع ذلك الجزء في خانة الغرابة
فالأغرب منه كانت سمر!
لا أعرف ماذا حل بها
أشاهدها تنقل أوراق كثيرة إلى غرفة سماح يومياً عند مجيئها، ماذا تفعل بكل تلك الأوراق
البيضاء!
في البداية ظننت أنها أوراق خاصة بجامعة ودراستها، لكن سرعان ما وجدت نفسي مخطئة.
فالأوراق تلازمها إلى المستشفى وتتركها أحياناً كثيرة بها!
زادت حيرتي، تعاملني سمر بجفاء، ندر الحديث بيننا حتى أصبح منعدم،
أطوق لأن أسألها، لكنني اشعر أنها كشفت أمري بكل تأكيد وأنها لم تعد تثق بي مثل سابق
الوقت.
حتى شاهدت شيئاً أغرب ما يكون منذ جئت إلى تلك المدينة الحمقاء،
كتلة مرتبة من الأوراق،

تحمل على غلافها مستطيل خالي من الحروف،
ثم ورقة تالية تحمل اسم سماح،
بها سرد لتفاصيل مجيئها للمدينة.

**يركب الجميع واهم وأنا أجر قدماي، أزحزح روحي على الرحيل وأركب، في صمت مؤلم
بجانب نافذة الميكروباص وبرغم حرارة الجو...**

أقلب الاوراق بسرعة كأنما أبحث عن دلائل تساعد عقلي العاجز عن الفهم،
وبعد أوراق كثيرة ممتلئة بهراء غريب لا أفهم مغزاه،
أجد ورقة مكتوب عليها (سمر)،

تبعها اوراق عديدة روت فيها سمر اشياء كثيرة لا أفهمها هي الأخرى،
لكن عيني وقعت على سردها لحديثها معي بالهاتف قبل مجيئي، تسرد كل شيء بتفاصيله
الصغيرة

ثم وجدت ورقة شعرت بها وبوجودها،
قبل ان ابحت عنها.

ورقة بعنوان (ناهد) قرأت تلك الاوراق عن آخرها، كأنني المتحدثة بتلك الاوراق!
لا أفهم كيف ولما فعلت ذلك وكتبت كل ذلك.

تفاصيل مجيئي من الريف إلى المدينة، تفاصيل مقابلاتنا وحديثنا مع بعضنا البعض،
تفاصيل تخيلية لم تحدث بيني وبين أحمد،

تبيست، لا افهم معنى لذلك، زادت حيرتي بينما أقلب وأقرأ مزيد من حديثها على الاوراق
وقد انتهى جزئي بحديثها لي وهي تطلب مني أن اصارحها بالحقيقة وما حدث لسماح،
لكن مهلاً،

وجدت جزء آخر بعنوان (سمر)

أعتقد أنني على وشك كشف أسرار أوراقها البيضاء وماذا فعلت بعد ان غادرت جزئي
وعالمي.



سمر

(٩)

●●● نوفمبر ٢٠٠٩ ●●●

أدركت أنني أجاهد في سبيل البحث عن الحقيقة وحدي، لن أجد من يساعدني بعدما رفضت
 ناهد أن تبوح بما تخبي،
 تلقيت صفة في منزلي من رجل يقول أنه عمي،
 لم يفعلها أبي طيلة حياته،
 وأدركت أن خير رد عليه هو أن احاصره بأدلتني على كذبه حتى أتمكن من جلب حقوق سماح.
 ناهد، بما انها ترفض المساعدة، فهذا يعني أنها تخشى شيء ما، عيناها تودان أن تخبراني بشيء،
 لكن إن لم يحدث ذلك "ولن يحدث"
 عليّ أن اقصيها خارج خططي أنا.

لم يعد لدي سوى سلاح وحيد اكتسبته مؤخراً وعليّ أن أستخذه،
 روح سماح التي عادت بعدما فقدتها،
 فلن يساعدني على استرداد حق سماح سوى سماح نفسها،
 لكنها لا تتحدث وجاءتني فكرتي قبل كتابة تلك الحروف،
 سأستعين بجودة كتابتها وعليها أن تساعدني.
 ذهبت إلى المستشفى أجر أقدامي بسرعة كأني انتظر نتيجة شيء ما

أحمل أوراق بيضاء تساعد سماح على الكتابة،
تنظر إلى ناهد وهي عائدة الى المنزل باستغراب شديد،
تحاول أن تفهم ما هذه الاوراق البيضاء وماذا سأفعل بها
ولوافشت سرها لما لجأت انا لكل ذلك،
اتحدث إلى سماح وتنظر إلي وأعرف أن كامل عقلها يفهمني ...

-سماح، انا محتاجة مساعدتك، لازم تكتيلي كل الي حصلك قبل ما تيجوا هنا
حاولت ان تتظاهر بعدم الفهم، حتى اضطررتني لاجبارها على الحديث.

-اخوكي هنا مش ناهد بس زي ما فهموكي، ناهد صاحبك وأخوكي يقولوا إنك بتعملي علاقات
مش كويسة من زمان وإن محدش اغتصبك وباباكي بياكد كلامهم
وكمان يقولوا إنك مجنونة يا سماح
بصيلي ومتعيطيش، لازم تدافعي عن نفسك وأنا هساعدك، أنا متأكدة ان مش دي الحقيقة
أرجوكي اكتبني الي حصل بجد، واديني فرصة اساعدك،

كانت الدموع تتساقط وتنظر إلي في حزن تحول الي غضب ثم انتقام،
اخذت الأوراق، تنقش حروفها بخط رديء لكنه مفهوم على اية حال،
تكتب وتكتب ولا أرى شيء ثم طلبت منها أن تتمهل،
تكتب أحداث أعرفها، ترتب تسلسلها،

بداية علاقتها مع خالد، التعلق بخالد،
 أشعار خالد وحديث خالد وما كان يطلبه وما كان يمقته خالد.
 كل ذلك كان غير مهم، كانت تكتب كل يوم جزء،
 حتى جاء جزء الكشف عن الحقيقة،
 بدأت تبكي بطريقة هستيرية، تشعر بظلم وقهر،
 أشعر به من عيناها، حينها تأكدت من صدقها،
 وحينها أدركت أن علي قراءة ما حدث وأنا مطمئنة أن ذلك حدث بالفعل.



ناهد

(١٢)

●●●٢٠٠٩ نوفمبر ١٣●●●

11_32 pm

تعجبت مما قرأت وغضبت أني لم أستطع معرفة تفاصيل أكثر
أبحث أكثر وأكثر أملاً في إيجاد جزء جديد من الاوراق التي تصرح فيها عما داخلها ولكني
فشلت،

لا أجد إلا أسرارها وقصصها مع صديقها وصديقتها ولم أعبئ همها أوهم أسرارها،
ومن جانب آخر فرحت أني سأتابع ما يدور بداخلها وما تخطط له سمر في المستقبل،
لكني سمعت صوت باب المنزل يفتح ولم يكن خارجه غير سمر.
كان علي أن أرتب الاوراق سريعاً من جديد وهذا ما فعلت، لكنها دخلت الغرفة بينما كنت قد
انهيت عملي،

-بتعملي ايه في اوضتي!؟

-مبعملش، انا كنت مستنياكي

تلقي حقيبتها وملابسها وتنظر إلي في ريب شديد

-كنتي عايزة حاجة؟

- كنت عايزة أسألك عن اخبار سماح وصحتها.

- مش كنتي عندها الصبح!؟

ارتبكت قليلا لكني عودت سريعا،

- اه، اه بس كان الدكتور بيقول انها احتمال تتكلم يعني فكنت بسألك لوكانت اتكلمت معاكي

-لوكان حصل حاجة كنت هبلغكم

-ماشى، هسيبك اني تغيري هدومك

-اقفلي الباب وراكي

اتمنى ألا تعرف بما قرأت وكشفت من اسرارها،

هذا ما تمنيته وهذا ما لم يحدث أيضًا.



(١٣)

●●●●● ١٥ نوفمبر ٢٠٠٩ ●●●●●

صباح ليوم مُلبد يشير الأخبار المفاجئة الصادمة غير المتوقعة،
 وقعت خارج حسابي، ابتعدت عن مخيلتي،
 تواجدت حيث لا أستطيع أن أحرك مشاعري،
 بل أتركها تحركني وتتناقلني وتعبث بي،
 لا يمكن، مستحيل، وكيف!

أن تنعكس أفعالك أمامك لتربكك وتربك حسابتك،
 تضعك في موقف لا تستطيع الهروب منه،
 حينها تيقن أنك لست الشخص الذي تقنع نفسك بطيبته وأخلاقه الحسنة،
 ولا تقنع عقلك أنه يوجد بداخلك شخص نقي من شوائب الحياة،
 حينها اعلم أنه يوجد داخلك شخص لكنه قرين شيطانك الذي سلب ليؤدي من تحب، ومن أحب
 أحبك انت وقدرك قدر حبك الواهم الزائف له،
 بل أكثر بكثير على مقياس التناقض،
 أنت ولا أحد سواك،
 كلما أتذكر أنها أحببتي وإن أخفقت بعض الاحيان لكنها كانت تعود وتقدر صداقة لم أقدرها
 حجم تقديرها ذرة،
 لم أتوقع أن تكون النهاية قبيحة قدر قبحي،

سخيفة كما أستحق ولا تستحق هي.

استقبلت أ خباركثيرة ذاك الصباح الذي أفتقد قمره،
أولها أن أخبرني أحمد بصديقه في القرية الذي قال له أن أمي غلبها المرض وأرقدتها فراشها في
الايام السابقة، وأنها حاولت البحث عني في كل مكان لكنها لم تجدني،
كان لذلك أثره والأثر الأكبر في هذا الخبر تحديدا هو علمي أن أبي سافر ليكمل عمله عديم
الفائدة وأن نساء قريتنا المجاورين لدارنا يتناوبن على منزلنا، كيف لي أن أعيش وسط ذلك وأمي
وحيدة في فراشها،

تنتظر ان تعود وليدتها الوحيدة بعد أن قادت فوق عاتقها كذب وخبث وخيانة،
لذلك قررت أني سأعود صباح اليوم التالي إلى القرية من جديد، بالتأكيد سيسعدها خبر زواجي
المستقبلي من أحمد، سيسعدها ويساعدها على النهوض من فراش المرض الذي لا يليق بها
لكن ذلك ليس كل شيء.

ورغم تعاسة الخبر إلا أن المفاجأة اشعرتني أن نهايتي قريبة وأني فعلت ما لم أقدر عواقبه.

لم اذهب الى المشفى لشعوري بالإرهاق ذلك اليوم، أستند لحجة زينب في الجلوس بالمنزل
وبينما نحن على ذلك، ننشغل بتفاهات الأمور.

اتصل صوت عمي عوض يخبرني بكلمات غريبة على آذاني

-الووو، مين

-انا عوض يا بت، جولي لزينب ان بنتها تعبت وماتت ...

-عمي مين، مين، مين ماتت. عمي رد ونبي رد

لم أهتم بملابسي ولا شعري الهائش ولا دموعي الكثيرة،
 فقط، فتحت باب المنزل أجري الى الأسفل على الدرج وقد اكتفيت من صرخات ولطم زينب
 أذهب إلى مكان لا أعرفه،
 أجري وأجري وأجري أكثر بين الطرقات لا أعرف ماذا أفعل، ينظر إلى جموع المارة،
 ولا أجد سوى نظرات سماح تطاردني وتخبرني بخيانتني لها وبقتلي مشاعرها ودفنها
 لا أكف عن التذكر ولا عن استحضار صورتها.

اتمنى أن تعود من جديد، أخبرها بحماقتي، أطلب عفوها، أخبر الجميع الحقيقة وأدافع عنها وعن
 شرفها،
 حتما سأذهب لها وأخبرها كل ما أريد،
 أتمنى فقط أن نعود عند شجرتنا نلهوونهمس ونضحك كما اعتدنا،
 أرى شالها الأزرق يتطاير أمامي ولا تكف الصورة عن الحضور ولا تكف دموعي عن النزيف.
 لا أشعر بقدماي وقد ملئهما الحصى والأتربة،
 ولم أتوقف عن الركض بعد،
 لا أمتلك الأموال التي تنقلني الى وجهة سماح التي لا أعرفها ولا أمتلك شيء سوى البحث عنها
 في أرجاء عقلي المشتت.

لا تذهبي أرجوكي رأفة بقلب قد أخطأ وهويعلم،
 لن أستطيع استكمال طريقي،
 أعرف بخيانتني لكنني كنت أشعر أنني أرتدي قناع لشخصية أخرى، شخصية لم أعرفها ولم أحبها،

أعتذر لصداقتنا، وقد بدى عذري سخيـف،
عودي يا رفيقة عمري، يا من ولدتني لتعوضيني أسفي على حياتي المبهمة،
لا أتوقع أن أتنفس النفس المقبل دونك،
أرجوكي، لا ترحلي، وكيف ذلك،
لقد تعاهدنا على صداقة تدوم، وفاء وإخاء،
ولم نتعاهد على فراق.
لا تصدقي قولهم، كذب، لم أخونك،
عودي وسأخبرك حقيقة ما حدث، يريدون الوقعة بيننا، وأعرف أنك لن تصدقي ما قالوه،
لن يفرقنا أحد أبداً يا أختي الأبدية ورفيقة طفولتي وشبابي وكهولتي.
ستعودين وأعلم ذلك وسأستيقظ من حلمي أبكي قليلاً ثم أذهب إليكِ إلى دارك في القرية،
لكن كيف أستيقظ، لا أعرف، أريد العودة إلى حياتي السابقة.
لم تتوقف روحي عن الركض بينما توقفت قدماي لا تستطيع أن تتحركا بعد كل ذلك،
توقفت بجانب عربة صغيرة يجرها رجل هرم،
لم يجذبني نحوها سوى صوت سماح، صوت فيروز، سمعتها بصوت فيروز،
لكن الآن صوت سماح هو الذي يغلب على آذاني وقلبي.

*يا سيني اللي راحتى ارجعيلي، ارجعيلي

شي مرة ارجعيلي،

وانسيني ع باب الطفولة،

تا اركض بشمس الطرقات،
ياسنيني اللي راحتى ارجعيلي، ارجعيلي
شي مرة ارجعيلي،
ورديلي ضحكات الي راحوا، الي بعدها بزوايا الساحات*



(١٤)

●●● نوفمبر ٢٠٠٩ ●●●

أستنشق هواء اليوم الأول بعد رحيلها،
 تتناقلني دموع العرق ودموع الحزن بعد أن رحلت
 عن عالمي، بعد أن ساهمت في رحيلها،
 تتراكم الأصوات فوق آذاني تذكرني بخيانتني،
 وأناي لم أكن قدر الثقة في يوم إن طلبت العون ومددت لها نصل قاتل تتكأ عليه.

أبئين الوجوه بمختلف أشكالها، يجمعها الحزن في صباح بدا بداية ليوم قاسي وطويل
 يوم، أود فيه التخلص من حمل عاتقي.

لا أتذكر أين كنت بالأمس، لا أشعر بألم اقدامي،
 كل ما أشعر به الآن هو الحزن والخزي والعار،
 وقد نسيت أمي وآلامها ومرضاها.

يتشج المنزل بسواد جد على طياته،
 تبعد أعيني بعيداً، تختلس الانظار هنا وهناك،
 وبين ضباب دموعي وآلام أقدامي،

أجد زينب غارقة بين دموعها وصراخها وتأوهات الكاذبة،
مثلما خنت خانت، مثلما قتلت قتلت.

يعلوصوت المسجل بالقرآن فوق صوت أفكاري،
كلما حاولت البحث عن منفذ لحزني ولومي لنفسي، لا أجد إلا المزيد من الخذلان.

ومع انتشار صوت القرآن تنتشر جانبه أدخنة سجائر عجوز الدار،
ولوتبدل القدر ومات بدلاً من ابنته لكان أفضل عدلاً،
أختنق عند النظر إليه، أجد في نظراته رجل لم يتأثر بشيء، لا يشعر ولا يلوم نفسه على شيء،
يجاوره أحمد لا يشعر بشيء مثل والده، ولا يهمني بماذا يشعر ويحس ذلك الحين.

فقط، عليه أن يعلم أن أمامه طريق واحد لا بديل عنه، الزواج، ولا أتوقع أن يكون بسداجة فكرة
الغدر الآن.

وبعد كل ذلك لم تبقى سوى من تشعر وتصدق ولم تخن، بل كانت نعم الصديقة
نعم الأخت ولم أكن أنا كذلك.

كانت سمر جالسة في غرفتها لم تخرج ولم تنتظر ضيوفنا من القرية القادمين لواجب عزاء،
انظر من حينئذ إلى آخر فأرى دموعها واستمع بعض الأحيان إلى صوت بكائها،
رغم أنها لم تعش مثلما عشت مع سماح ولم ترافقها مثلي،

لتخبرني بشيء لم أعلمه مسبقاً،

الصداقة ليست بعمرها ولكنها بصدق مواقفها وان كانت مواقفها قليلة.

ومرت أيام قررنا فيها العودة مجدداً إلى القرية،
فلقد انتهى ما جلبهم هنا وانتهى الأمر برمته.

عدنا وعدت إلى أمي التي غلبها المرض ولم تستطيع أن تلومني على هجري لها،
أخبرتني أن أبي غضب قليلاً وتوعدني وأخبرها أنني سأعود قريباً،
لكن ما جعل أمي لا تقاومني وأسعد أبي في غربته وأنهى معانتي أخيراً كان خبر زواجي من أحمد،
ذلك جعل المرض يفارق أمي.

فلقد أخبرنا أبي بخبر رغبة أحمد في زواجي وقد رحب أبي وأعلمنا بموعد قدومه،
صدق أحمد وجعل أباه يوافق على زواجنا.

لم أصدق أن معانتي ستنتهي أخيراً،
وأن فصلاً ما سيكتب بسرور وفرحة.

—مالك ياما بصالي اكني جتلتلك جتيل ...
—لا بس مستغربة شوية، وماتت ازاى بنتهم
مرة واحدة كده!

لم أحب الحديث بشأن سماح فدائماً ما تثير ذكراها ضميري الملتهب،

أود أن أخرج نفسي وشعوري من حالة التأنيب تلك، أريد أن أبتعد قدر ما أستطيع.

- كانت عيانة بمرض وحش منعرفهوش، مش مهم دلوجتي ياما، المهم انهم جولنا الدار وطلبوا ايدي

- هومعندهمش ريحة الدم ياختي! بنتهم لسه ميتة وجايين يجوزوا الحيلة ابن أمه *مسم*

- ونيي ياما منحصاش تجطيم خلينا فحالنا واهوكويس انه جالنا ومبهدلنيش معاه

اقترب وجه أمي في أداء شيطاني من الأفلام الرمادية، وانتظرت الإنارة الحمراء أسفل وجهها
- اوعي يابت يكون عمل معاكي حاجة كده ولا كده، حاكم أنا عارفة الاشكال دهيه وعرفاكي

ارتعدت للحظة ونظرت لها بغضب شديد،

-ملوش لزوم الكلام دهوه ياما، انا صاينة حالي كويس اووي

عادت الى الخلف من جديد ونظرت لي بتهاون،

وكنت حريصة ألا اغضبها كسابق حالنا بسبب مرضها الملح،

ولم يخلودارنا طيلة اسبوع من زائريه ومباركيه مبالغين الفرحة.

وإذا تساءلت، لا اعلم ما يريد عقلي،

لكنه يحاول ألا يتذكر، فقط يستعد لفرحة غامرة،

وراحة أبدية أخيراً.



(١٥)

●●● ٢٧●●● نوفمبر ٢٠٠٩ ●●●

10_09 am

تشعر عيناى بحرارة لم تألفها، تتسابق للإطاحة بمصدر الحرارة ولكنه يلاحقها في كل اتجاه تذهب إليه،

أدرك أنى غارقة فى نومى ولذلك لا أريد أن أعرف مصدر ذلك النور اللعين الذى سبب لى إفاقة حتما لن تعيدنى مجددا للنوم،

أدركت أنى فقدت قدرتى على النوم، لذلك

استيقظت عيناى على شرفتى مفتوحة عن آخرها على غير العادة،

أعرف أنها كانت مغلقة جيدا ولا أعرف ما الذى دعى أمى لتقوم بذلك!

هممت وكلى كسل لاغلق تلك الشرفة اللعينة وأحاول العودة سريعا للنوم،

لكنى استدردت، لأفاجئ برجل يقف أمام باب الغرفة، أفرع ما تبقى من دماء تجري فى عروقى وأفرع ما نُحدر منها فى نومى.

-انت مين يا جدع انت!؟-

-بجى مش عارفانى يا ناهد!؟-

-عارفة ايه، انت مين ودخلت هنا ازاي، يااما، ياما

لكنه أسرع نحوي ولم أستطع أن أركض الى الشرفة التي أغلقتها بيدي منذ قليل،
 يجذبني نحوه وأنا لا أستطيع أن أفعل شيء سوى الصراخ،
 يضع يده فوق صوتي والأخرى تمزق ثيابي،
 ثم جذبني على سريري وأنا لا أملك سوى صراخي المكتوم ودموعي النازفة بكثرة
 لا أمتلك قوة حريتي ولا حماية شرفي،
 دقائق ولم أستطع أن أصدر صوت مجددا،
 لكنني سمعت صوت باب الدار يصد، وأنا لا أستطيع أن أصدر صوتي،
 لاجد أمي وزينب يقفان امام باب غرفتي
 ما أن فتحت عيناها على سريري ترافقها زينب
 حتى سقطت وهي تولول وتقطع ملابسها وتصرخ
 وسارع ذلك الرجل نحو الشرفة وقفز
 كل ذلك وزينب لم تحرك ساكنها،
 ثم شرعت أمي بضربي وخذش ما تبقى لي من شرف وكرامة.

-يا بنت الكلب يا فاجرة، يا بنت الكلب

في البيت يا واطية، اتفضحتي وفضحتينا معاكي، لا هتجوزي ولا هتشوفي جواز
 يا سافلة، يا تربية واطية ... اه اه اه يارب يارب يارب ... يا بوياء، يارب خدني يارب خدني يارب

كل ذلك ولم اتفوه بحرف، فقط أرى أمي تقطع اشلائي وأرى زينب تشاهدنا وتبتسم إلي في
 شماتة،

أدركت انهم قد نجحوا،
 نجحوا في اصطيادي وكسب ما أرادوا كسبه،
 فقدت صديقتي وفقدت قدرتي على فهم أي قوى شيطانية مكنتهم من التفكير وتنفيذ مثل ذلك
 فكرة.

تبعثرت وتبعثرت أحلامي ومستقبلي،
 تهدم الدار فوق رأسي، أرى أمي في الأرض واقعة وقد غلبها الارهاق وكثرة العويل والصراخ،
 تتبادل نساء القرية على منزلنا وتأتي من كل اتجاه،
 ينظرون الي في غضب وشماتة واشفاق بعض الأحيان،
 حتى امتلئ المنزل عن آخره بضيوفه،
 لكنني سحبت ما رأيته أولاً من ملابس الرديئة،
 وهاتفني، وذهبت بعيداً لأجد ركن يسع دموعي مجدداً.
 تذكرت يوم ماتت سماح، كنت أسير في الطرقات بنفس الهيئة،
 وقد اختلفت عن المرة السابقة في أنني قدماي قد ملئهما الحصى بينما الآن لا اشعر بشيء ولا
 أشعر بقدماي.

لا اعرف أين أذهب وإلى أين أسير بتلك السرعة، تزاخمت الأفكار فوق رأسي وكنت أفكر في
 أحمد دائما عندما تزداد احزاني وهمومي، ولكن تلك المرة كانت مختلفة كلياً ولا وجود لأحمد
 في قائمتي المتزاخمة،
 لا شك انهم من فعلوا ذلك،
 ولا شك انهم انتصروا بكل تأكيد،

واين سماح! لابد أنها كانت ستقف جانبي مثلما فعلت كثيراً قبل ذلك، لكنني لم أدخرها لمثل تلك المواقف، وأنهيته حياتها وحياتي.

ومن بين مرارتي وقسوة موقفي، إلا أن شخص واحد فقط من فكرت في اللجوء إليه في هذا الموقف اللعين.

-الوو، انا ناهد يا سمر فكراني،

-ومفتكر كيش ازاي، انا مسجلة رقمك أصلاً

-انا عايزة اجيلك، انا هربت من البيت تاني

-هربتي! وهتجيلي ازاي

-انا هركب الجطر، بس تعاليلي المحطة

،-

-ماشى يا سمر؟ اجي؟

-تعالى وابقى اتصلي عرفيني اجيلك الساعة كام

عرفت وجهتي، لم يكن السفر إلى سمر بهدف أن استجدي عطفها في حمايتي، لكن لأريح ضميري المرهق، وأسقط عن عاتقي بعض الاسرار اللعينة.

استغرقت رحلتي بضع ساعات ومكالمة.

ذهبت لأجد سمر في انتظاري،

احتضنتها كما تمنيت ان احتضن أمي،
وبحجم ما أريد أن أخبرها بكثير من الأسرار أدركت أنها تحمل لي الكثير أيضاً.

-يا بنتي بقالنا نص ساعة قاعدين وانت مبتطيقش

حصل ايه وجيتي ليه!؟

-انا اتفضحت في البلد، سمعتي وشرفي في التراب، مش هتجوز باقي عمري كله

-حصل ايه لكل ده، اهدي بس

تغلبت على ارهاقي ودموعي واخبرتها بكل ما حدث لي في القرية

اخبرتها حجم تلك الكارثة التي انهدت مستقبلي

وقضت على ما تبقى من صحة أمي

كيف سأعود ولمن!؟

فإذا قدر لي البقاء في تلك الحياة سيقتلني أبي،

وهذا أفضل ما أستطيع أن أتمنى الآن،

انتهيت من حديثي واخبرتها بما حدث ولكني

تابعت حديث الضمير وأكملت ما جئت لأتحدث بشأنه.

- سمر، انتِ كان عندك حق

أنا ضحكت عليك في موضوع سماح

ومحكتلكيش الي حصل

ابتسمت لي سمر نصف ابتسامة وعادت بمقعدها الى الوراء كأنما تستعد لسماع المزيد من حديثي.
-عارفة، بس عايزة اسمع الحقيقة بقي.
احكي،

نظرت لها بعمق وتوجهت لها بقلبي وحديثي وعقلي،
لا انوي إلا قول ما حدث، ولا شيء غير ما حدث، فقط الحقيقة.



(١٦)

● ● ● ٢٤ يونيو ٢٠٠٩ ● ● ●

3_14 pm

جالسة، أحاول التغلب على عقلي وتساؤلاته

ماذا سيحدث وماذا ستكتشف

لا أعرف ماذا أتمنى لها، هل أتمنى لها أن تكتشف أنه إنسان مخلص سيصون علاقتهما كما

وعدها، أم لا أتمنى ذلك،

كل ما أريده ألا أصبح وحيدة في عالمي،

ألا تتزوج سماح ويتركني أحمد،

وأشاهدهما من بعيد يهنئان بحياتهما.

أنتظر وأنتظر، وإذا بطرق عنيف على باب داري،

أسرعت وأعلم أن سماح تنتظر،

لكني فوجئت كثيراً عند رؤية هيئتها

لا تقوى على الوقوف، تنزف دموعاً وآلام

-جومي يا سماح، حصل ايه، عرفتني حاجة؟

جومي

-خالد اتجوز زي ما كنا حاسين،وسافر من المطار من ساعتين مع مراته على السعودية

انا اتضحك عليا يا ناهد،

-منا جولتلك يا سماح انه رمى الهدية في وشك ومش هيتجوزك، انت الي عيشتي في الهبل

-مالك يا ناهد انت شمتانة كده ليه؟!

-مش شمتانة يا سماح ولا اجدر

انت بس صعبانة عليا،

-لا ميصعبش عليك غالي، انا مش هبجي عبيطة ولا طيبة، انا هعرف آخذ حجي كويس

اووي،وعاملة حسابي على كده

-هتعملي ايه يعني؟

نظرت إلي كأنها لا تعرفني وتستكشف ملامحي

-أنا هجولك عشان مليش غيرك،ومحتاجة مساعدتك في الي هعمله

-جولي ياختي

-احلفي، احلفي ان السر ده محدش يعرفه غيرك

-والله العظيم ما حد هيعرف السر ده غيري، ها

-انا هتبلي على خالد.

-هتتبلي عليه ازاي يعني

-هقول انه هجم عليا واغتصبني،

-يخربيتك، هتجولي لمين!

-هيكون لمين يعني، لأبويا وأمي

-طب وانت هتستفادي ايه لما تعملي كده يا مجنونة انت

-هجيبي داهية لخالد،وخالد يبجي صاحب أحمد يعني ابويا هيبهدل احمد وهيطرده من

البيت،وكمان هفضح الي خنقوني ونغصوا عليا عيشتي، زينب وعوض

-يخربيتك، ده انت طلعتي مجنونة

-انا كده هبجي خدت حجي من خالد وأحمد وأبويا وأمي،

زي ما هما جتلوني بالحيا،وضحكوا عليا وكرهوني في عيشتي، انا كمان هفضحهم

وهفضح اي حد يحاول يأذيني يا ناهد

لم أصدق حديثها، نظرت إليها وشعرت أنني اتكلم مع إنسانة قد اصابها الجنون والخبل،

ولم أعرف أنها ستنفذ ما أقدمت عليه بالفعل،

إلا عند سماعي لخبر اغتصابها من خالد بعد عدة أيام على لسان أخاها الهارب،

هرب أحمد من داره،وهربت أسرة سماح الى المدينة،

ولأول مرة شعرت ان سماح تقود موقف وتنتقم لحياتها السابقة.



(١٧)

●●●٢٠٠٩ نوفمبر ٢٧●●●

7_13 pm

انتهيت من حديثي واخبرتها كل ما عرفت من أسرار ولا يتبقى سوى القليل.

-وغلطتي إني عرفت أحمد الي حصل ده كله

ساعتها هوقرر انه يعمل خطة لنفسه هوكمال

من الآخر هوالي خلاني اقول عليها هبله وخالني اقول ان مفيش حد اسمه خالد وإنها دايرة على

حل شعرها من زمان والكلام ده كله

كل ده عشان ينتقم لنفسه منها

-خلصتي كلامك خلاص؟

-اه، الحمدلله، انا كده استريحت

-هاهاهاهاها... استريحتي بجد؟ يا جبروتك يا شيخة،

فضحتي صاحبك وفضحتي سرها وبتقولي استريحتي!

-هي كمان كدبت لما قالت ان حد اغتصبها

-قوليلي يا ناهد، لوحد قالك إنك بكرة هتموتي

وكان في حد بيكرهك وبيكرهلك الخير

تحبي عملي فيه معروف ولا حاجة وحشة يفتكرك بيها قبل ما تموتي؟

-هانتقم منه طبعاً، بس مش فاهمة يعني ايه سؤالك

-بالظبط كده، سماح، ممكن تكون غلطت، بس دي طريقته عشان تاخد حقها من ناس كل همهم

العار والفضيحة

شايفينها فضيحة وبيتكسفوا من سيرتها

حبت تسييلهم ذكرى قبل ما تموت

سابتلهم الي بيخافوا منه، الفضيحة والعار

-عموما أنا مش جاية عشان أعرف هي عملت كده ليه، أنا جيت عشان اشيل شوية عن نفسي الي

تعبت من كتر التفكير

-هههههههه، عجتك الحاجات الي انا بكتيها؟

نظرت لها، تملئها ضحكات لا أعرف سببها،

أشعر أنها تخبيء شيء لا أعرفه،

واندهشت أكثر لعلمها بأني قرأت أوراقها، رغم أنها لم تخبرني بذلك قبل عودتي إلى بلدي منذ

أيام

-عرفتي مينين إني قرئت الورج؟

-اديني عرفت وخلاص، بس واضح ان الحتة الي كنتي بتدوري عليها ملقيتهاش في الورق

صح؟

..-

-مش مستنياكي تردي، لو إنتِ فاكِرة إنك جاية هنا صدفة واني مش عارفة إنك هتيجي، تبقي غبية،

تعرفي يا ناهد، الشخص الغبي هو الشخص الي بيشف الدنيا من منظور واحد بس

بصي انا مش هطول عليك

انا هديكي آخر جزء اتكتب من مذكراتي

متعرفيش؟ مش سماح سابت لك رسالة قبل ما تموت، بعد ما تخلصي هتلاقي السواق مستنياكي يوصلك المحطة تاني، هتلاقي أحمد أو أبوكي، أنتِ وحظك بقى الي يوصل أسرع فيهم، في الحالتين هتحصل مصيبة

اقراي الرسالة وقرري، يا تركبي مع السواق وتروحي تستقبلي عريسك في المحطة وأبوكيوهوجاي يستقبل بنته الي فضحته

يا تخليكي هنا في القاهرة، بس مش عندي في البيت للأسف،

اقراي، مع السلامة.

ابتسمت وغادرت لتركبي مع شبح سماح،

أتردد كثيراً قبل أن أقرأ ما تركته لي.

*ازيك يا ناهد، لوالرسالة دي في إيدك دلوقتي ده معناه إني مش في الدنيا دلوقتي،

سمر حكتلي كل الي حصل وأنا في الغيبوبة.

قالتلي إنك جيتي مع أحمد، وإنكم قولتوا عليا هبلة ومجنونة وان مفيش حد اسمه خالد اصلا

واستغليتوا مرضي عشان تقولوا إني دايرة على حل شعري من زمان وانتِ بتحاولي تنصحيني ابعده
عن الطريق الوحش ده.

عارفة يا ناهد، انتِ اكيد تقصدي الطريق الوسخ الي انتِ واحمد مشيتوا فيه من ايام ما كنتي في
إعدادي

انتِ أكثر واحدة عارفة إني اتظلمت من عيلتي وانهم مكانوش بيعاملوني زي بنتهم ولا حتى زي
الغريبة

كنتي ممكن تعرفيهم السر الي اخترتك بس عشان تعرفيه عشان انتِ اختي، بس انتِ أكثر واحدة
متوقعتش انها تفضحني أكثر،

يا اختي، يا صاحبي،

فأكرة لما قولتلك إني هأذي الي يأذيني

انا فعلا بعمل كده، وانا ميتة كمان

لوانتِ بتقرأي الرسالة دي، ده معناه إنك انتِ الي مفضوحة في البلد دلوقتي وإن في واحد
اغتصبك في اوضتك ومش هتتجوزي أحمد واضحك عليك يا ناهد

أصلهم من كتر غبائهم كانوا بيتفقوا في المستشفى على انهم عايزين يخلصوا من زنك وان احمد
كمان مش عايز يتجوزك،

سمر لما سمعتهم قالتلي اختار ما بين إنها تقولك اومتقولكيش.

اتفقوا عليك يا ناهد وأنا عرفت ومعرفتكيش

كده نبقى زي بعض يا ناهد، بس انا مت خلاص، وانتِ هتعيشي حياتي القديمة

حياة العار والذل، *

سقطت تلك الورقة ولم أصدق ما قرأت،

تلقيت جزائي كما أستحق، بل وردت سماح الصاع بضعفه،

كانت تعلم بما سيلحق بي، واختارت ألا تخبرني،

شعرت بألم روحها عندما حل بي،

وضحت القصة بأجزائها أمامي،

تركت مقعدي وتوجهت إلى السيارة،

أعلم ما أنا مقبلة على فعله جزاء خيانتني،

أعلم ان تلك هي النهاية.

وأدركت لا ألم البدن لا يُضاهي ألم الروح.

